مـــرقس
رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام
سبتمبر ٢٠٢٣

القدِّيس يوحنا المعمدان

(تذكار استشهاده ٢ توت / ١٣ سبتمبر)

أعظم مواليد النساء، القدِّيس الشهيد السابق والصابغ للمسيح، الذي جاء ليُمهِّد الطريق قدَّامه. قائلًا:

«يأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَنْحَنِيَ وأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ» (مرقس ١: ٧)

(أيقونة من رَسْم الأب جريجوريوس من دير النياحة بإسقيط بيونا فيستا، ولاية كولورادو)

Dormition Skete, Buena, Vista, Colorado

The Martyrdom of Pothinus, the bishop of Lyon (177)

The blessed Pothinus, who had been entrusted with the bishopric of Lyons, was dragged to the judgment seat. He was more than ninety years of age, and very infirm, scarcely indeed able to breathe because of physical weakness; but he was strengthened by spiritual zeal through his earnest desire for martyrdom. Though his body was worn out by old age and disease, his life was preserved that Christ might triumph in it. When he was brought by the soldiers to the tribunal, [...], and they were shouting against him in every manner as if he were Christ himself, he bore the good witness [...]. Then he was dragged away harshly, and received blows of every kind. Those near him struck him with their hands and feet, regardless of his age; and those at a distance hurled at him whatever they could seize [...]. Scarcely able to breathe, he was cast into prison and died after two days.

NPNF, 2nd series, Vol. I, pp. 214-215

****

ὁ δὲ μακάριος Ποθεινός, ὁ τὴν διακονίαν τῆς ἐπισκοπῆς ἐν Λουγδούνῳ πεπιστευμένος, ὑπὲρ τὰ ἐνενήκοντα ἔτη τῆς ἡλικίας γεγονὼς καὶ πάνυ ἀσθενὴς τῷ σώματι, μόλις μὲν ἐμπνέων διὰ τὴν προκειμένην σωματικὴν ἀσθένειαν, ὑπὸ δὲ προθυμίας πνεύματος ἀναρρωννύμενος διὰ τὴν ἐγκειμένην τῆς μαρτυρίας ἐπιθυμίαν, καὶ αὐτὸς ἐπὶ τὸ βῆμα ἐσύρετο, τοῦ μὲν σώματος καὶ ὑπὸ τοῦ γήρως καὶ ὑπὸ τῆς νόσου λελυμένου, τηρουμένης δὲ τῆς ψυχῆς ἐν αὐτῷ, ἵνα δι᾽ αὐτῆς Χριστὸς θριαμβεύσῃ· ὃς ὑπὸ τῶν στρατιωτῶν ἐπὶ τὸ βῆμα κομισθείς, [...], ἐπιβοήσεις παντοίας ποιουμένων ὡς αὐτοῦ ὄντος τοῦ Χριστοῦ, ἀπεδίδου τὴν καλὴν μαρτυρίαν. [...]. ἐντεῦθεν δὲ ἀφειδῶς ἐσύρετο καὶ ποικίλας ἔπασχε πληγάς, τῶν μὲν σύνεγγυς χερσὶν καὶ ποσὶν ἐνυβριζόντων παντοίως, μηδὲ τὴν ἡλικίαν αἰδουμένων αὐτοῦ, τῶν δὲ μακράν, ὃ μετὰ χεῖρας ἕκαστος εἶχεν, εἰς αὐτὸν ἀκοντιζόντων, [...]. καὶ μόγις ἐμπνέων ἐρρίφη ἐν τῇ εἱρκτῇ καὶ μετὰ δύο ἡμέρας ἀπέψυξεν.

SC 41, p. 13-14.

St. Mark *Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2023 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٧ سبتمبر ٢٠٢٣م.

العدد ٦٤٦ نسئ ١٧٣٩ش/ توت ١٧٤٠ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

التاريخ فخر الكنيسة ١

مقال للأب متى المسكين:

الصليب من الوجهة الإيمانية ٦

من كتابات القديس القمص بيشوي كامل:

تأملات تحت أقدام الصليب ٩

تذكار الصليب المقدَّس: الرب يسوع صُلِبَ من أجلي... ١١

بمناسبة عيد النيروز: المسيح المتألِّم في شهدائه..... ١٧

في ذكرى الشهداء: الشهيد إيليان الحمصي (١) ٢٢

من قصص الشهداء:

فاروس الجندي وسبعة نُسَّاك آخرون ٢٨

ادخل إلى العمق (٣٤): الجهاد القانوني ومقاومة الشر... ٣٢

من التراث الكنسي: معرفة الله (٥)..... ٣٩

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (٥) ٤٢

بحث تاريخي: أديرة وكنائس أخميم الأثرية (٢) ٤٦

تقديم كتاب: علم الآباء "باترولوجيا" - المجلَّد الثاني..... ٥١

مقال بالإنجليزية:

(2) RESURRECTION AND REDEMPTION ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للمؤرِّخ يوسابيوس القيصري

شهادة ق. بوثينوس أسقف ليون (١٧٧م)

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[أمَّا المغبوط بوثينوس، الذي كان قد أُوكِلَت إليه أسقفيَّة ليون، وكان عمره يزيد على تسعين سنة، وقد وهنَت كلُّ قواه، يكاد بالجهد أن يتنفَّس بسبب ضعف جسده؛ لكنّه تقوَّى بغَيْرَةِ الرُّوح بسبب رغبته الحارَّة في الاستشهاد. هو أيضًا جرُّوه إلى كرسيِّ القضاء، ومع إنَّ جسده قد فَتَّتْ في عَضُدِهِ الشَّيخوخة والأمراض، فقد حُفِظَت نفسه فيه لكي ينتصر المسيح بها. وعندما أتى به الجُند إلى المُحاكمة [...]، وكانوا يهتفون ضدَّه بكلِّ أنواع الهتاف، كأنَّه هو المسيح نفسُه، شَهِدَ الشَّهادةَ الحسَنة [...]. عندئذٍ جرُّوه بفظاظةٍ ولطموه بكلِّ أنواع اللَّطمات. فالقريبون منه لكموه بأيديهم، وركلوه بأرجلهم، غَيرَ حاسبين أيَّ حسابٍ لسنِّه، والبعيدون منه قذفوه بكلِّ ما وصلَت إليه أيديهم [...]. مِن ثَمَّ زُجَّ به في أعماق السجن، وهو يكاد لا يَقْوَى على التنفُّس، وبعد يومَين أَسلَم روحه].

(التاريخ الكنسي ٥: ١: ٢٩ - ٣١)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ــ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ــ القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيهًا

الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:

١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)

٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية

١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى

يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**

عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

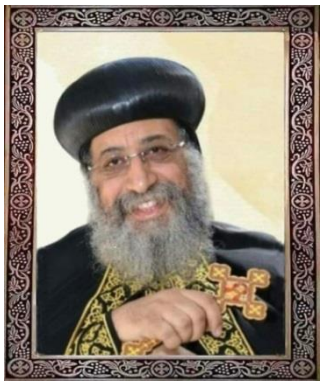

التاريخ فخر الكنيسة

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

«كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: "لَا أُهْمِلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ" حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ: "الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟" اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ» (يو ٦: ٥٣ – ٥٦).

كلمة "التاريخ" History معناها his story أي "قصة الإنسان". والآيات السابقة تُمثِّل مشاهد من التاريخ الإنساني. وبمناسبة العام القبطي الجديد وعيد النيروز، نتأمَّل كيف أنَّ التاريخ فخر الكنيسة!

أولًا: الله سيِّد التاريخ:

الله هو صاحب التاريخ، وكلُّ ما نراه على الأرض صاحبه ومُحرِّكه هو الله، حتى لو ظهر في الصورة بعض الأشخاص، وكأنهم هم مُحرِّكون الأمور والأحداث؛ لكن الله هو سيِّد التاريخ، وهو ضابط الكل. ومن هنا تأتي الطمأنينة عند الإنسان، طالما الإيمان الحقيقي يسكن قلبه. مثال لذلك: مشهد لأب يمسك بيد ابنه الصغير، ويسير في شارع مُزدحم بالناس والسيارات، فنُلاحظ أنَّ هذا الابن لا يُفكِّر في شيء إطلاقًا، مثلًا: إلى أين سيذهب؟ أو هل الطريق صحيح؟ أو ما الذي سيتعرَّض له؟ ذلك لأنه مُمسكٌ بيد أبيه الذي يقوده من دقيقة لدقيقة، فهو يشعر بالاطمئنان الكامل.

وهكذا صنع الله عَبْر التاريخ، من أول أبينا آدم، مرورًا بشخصياتٍ عديدة، وصولًا لأبينا

إبراهيم أبي الآباء، إلى أن جاء ملء الزمان وتجسَّد ربنا يسوع المسيح. لذا نضع أمامنا أولًا أنَّ الله هو سيِّد التاريخ، وبما إنَّ الله حيٌّ، فالتاريخ أيضًا حيٌّ ولا يموت، وبذات التاريخ المقدَّس.

ثانيًا: التاريخ هو الحياة:

فهو حياة الإنسان، وهو كل التفاصيل. والتاريخ لأنه حياة، فهو يُعطي قوَّةً للإنسان. ومن المعارف الهامة جدًّا، أنَّ الإنسان عندما يتقلَّد أيَّ منصبٍ، عليه أن يعرف تاريخ المكان الذي سيعمل فيه. فالتاريخ دائمًا هو الذي يُعلِّم ويُرشِد.

وأحيانًا نسمع عبارة: "التاريخ يُعيد نفسه"، وهذه العبارة إلى حدٍّ ما صحيحة. فالتاريخ هو الحياة، أي معرفة للحياة، ولدينا أنواعٌ من التاريخ:

مثل تاريخ المسيحية في العالم كلِّه، بدأ من تجسُّد المسيح، وما كان قبله وما هو بعده. تاريخ الكنيسة بعصوره المختلفة، وليس تاريخ كنيستنا فقط، بل تاريخ كلِّ الكنائس التي في العالم، وتاريخ الكنيسة المحليَّة، أي تاريخ الكنيسة التي ينتسب إليها أي فرد منَّا.

وتاريخ الكتاب المقدَّس، والتاريخ الكتابي من أروع أنواع التاريخ، لأنه يمتدُّ عَبْر قرونٍ كثيرة. وهناك تاريخ الوطن، أي تاريخ مصر. وهي من الدول التي تاريخها مقدَّس، لأنه ارتبط بالعبادة وبالأبديَّة، فقدماء المصريين لم يتركوا لنا سوى المعابد والمقابر بمعنى عبادة وخلود، ومن المعروف أنَّ أخناتون هو أول مَنْ نادَى بالإله الواحد.

ثم جاءت المسيحية في الإسكندرية بترتيبٍ من الله، وهي مدينة مُتعدِّدة الثقافات، كاليونانية والرومانية، وغيرها من الثقافات؛ ثم بدأت التحوُّل التدريجي إلى أن صارت الإسكندرية كلها مسيحية، والتاريخ يشهد بذلك.

فكانت المنطقة كلها تحت الاستعمار الروماني من الناحية العسكرية، وتحت الاستعمار اليوناني من الناحية الثقافية. فالإمبراطورية اليونانية استعمرت العالم باللغة، والإمبراطورية الرومانية استعمرت العالم بالجُند. وهذا هو ما نُسمِّيه اليوم القُوَى الناعمة وهي اللغة، والقوَّة الجامدة وهي القوَّة العسكرية. ونحن في كنيستنا حتى الآن نستخدم كلماتٍ تعود إلى اللغة اليونانية واللغة اللاتينية.

وتاريخ مصر بدأ من الفراعنة، ثم المسيحية التي استمرَّت وامتدَّت وانتشرت، وكانت الإسكندرية هي أول مدينة في قارة إفريقيا تقبل الإيمان بالمسيح. فالقديس مار مرقس

الرسول ليس كاروز مصر فقط، لكنه كاروز إفريقيا أيضًا. فمن الإسكندرية انتشرت المسيحية إلى أن وصلت إلى جنوب إفريقيا وشمالها أيضًا.

هذا هو التاريخ الذي تعيشه مصر، لذلك نقول إنَّ تاريخ مصر تاريخٌ مقدَّس. فمصر من الناحية الجغرافية ذُكِرَت في الكتاب المقدَّس ما يقرب من ٧٠٠ مرة!! وهي الدولة الوحيدة التي ذُكِرَت بهذا التكرار في الكتاب، وذلك لأن تاريخها مقدَّس.

وهناك أنواعٌ أخرى من التاريخ، مثل: تاريخ العلوم، وتاريخ الفلسفات، وهناك تاريخ أشمل وهو تاريخ الإنسانية. وكلُّ إنسانٍ هو جزء من هذا التاريخ، لذلك من المهم أن نعيش التاريخ ونقرأ، فالتاريخ هو الحياة.

ثالثًا: التاريخ مُعلّم الإنسان:

إنَّ التاريخ هو أقوى معلّم للإنسان، والتاريخ بالنسبة للكنيسة هو عمل الخلاص الذي بدأ من آدم ثم التجسُّد والفداء، ثم الكنيسة وانتشارها، وأخيرًا محطة الأبديَّة. فالتاريخ يحكي لنا رحلة الخلاص من الخطية، وهو تاريخ مقدَّس وأقوى معلّم. ونعتَبِر السيِّد المسيح هو مفتاح التاريخ كله، وبسببه انقسم الزمن إلى قبل الميلاد وبعد الميلاد. فهو العنصر الرئيسي في قصة التاريخ كلها، فمثلًا كنيستنا تحرص بشدَّة على كتاب السنكسار الذي يحوي تاريخ يومي يأخذ صفة الفرح.

فيقول الأب الكاهن في بداية قراءة السنكسار: "نُعيِّد في هذا اليوم بـ ..."، حتى لو كان الحَدَث به حزن أو ألم. ويتكرَّر هذا التاريخ عَبْر أيام السنة كلها (ما عدا فترة الخمسين، لكي ما نعيش خبرة فرح القيامة).

بهذا يصبح التاريخ مؤدِّيًا للفرح والغِنَى في حياة الإنسان. والسنكسار كتابٌ مفتوح وليس كتابًا مُغلقًا، بمعنى أنه يُضاف إليه دائمًا أحداث وآباء وقدِّيسون جُدُد، وكما نعلم جميعًا أنَّ سِفْر أعمال الرُّسل هو السِّفْر الذي لم ينتهِ بكلمة "آمين"، ويُستَكمَل من خلال السنكسار.

ورسامة الآباء الأساقفة تتمُّ بعد الإبركسيس والسنكسار، وكأنَّ رسامة كلِّ أب من الآباء الأساقفة هي استكمال التاريخ، وهي صفحة من صفحات التاريخ، وهنا تأتي عِظَم المسؤولية الخطيرة التي تُلقَى على الأب الأسقف. لكن عند رسامة الأب الكاهن، يكون ذلك بعد صلاة الصُّلح، لأن عمله الأساسي هو قيادة الصلاة مع المؤمنين وجَذْب النفوس للتوبة.

ومن التداريب الجميلة لكلِّ أُسرة مسيحية، قراءة كتاب السنكسار في البيت. وعند حضور مولودٍ جديد للأسرة، يتمُّ تسميته من خلال كتاب السنكسار. ومن اللطيف أن يقوم الوالدان بحكاية السنكسار لأطفالهم كل يوم كمثل حكاية قبل النوم، بما يتناسب مع استيعاب كل طفل. والمقابل لكتاب السنكسار، كتاب الدفنار الذي يُقرأ في نهاية التسبحة اليومية، وهو جزءٌ تسبيحي عن قدِّيسي اليوم، نتذكَّر فيه جهاد القدِّيس وتعبه وأقواله.

ومن صور التاريخ الكنسي أيضًا مجمع القدِّيسين. ففي القدَّاس نُركِّز على مَنْ حفظوا الإيمان، بدًا من أُمِّنا العذراء كمُمثِّلة للمرأة، ثم نذكر مجموعة من القدِّيسين: بعضهم من داخل مصر، والبعض الآخر من خارج مصر من جنسيَّاتٍ مختلفة.

ونحن في حياتنا الكنسيَّة، نستخدم التاريخ بصورٍ كثيرة، فمثلًا من الأمور الهامة، اللوحة الرخاميَّة التي تُسجِّل كلَّ حدث. فقديمًا كانوا يُسجِّلون زيارات الآباء البطاركة للأديرة على جدران الكنائس، وذلك إمَّا بالنحت أو بالكتابة قبل الكتابة على الرخام. وأيضًا من الأشياء المؤثِّرة جدًّا كتابة المذكِّرات، وأتذكَّر أنَّ الفنان الكبير يوسف وهبي كتب مذكِّراته تحت عنوان لطيف اسمه: "عشت ألف عام"!! بالطبع هو لم يَعِش ألف عام، لكن كل شخصية قام بتمثيلها اعتبر أنَّ عمرها قد أُضيف على عمره.

فالمذكِّرات هي خبرة الحياة التي تُسلَّم للأجيال. والأستاذ الدكتور بطرس بطرس غالي عبَّر عن سنوات وجوده في الأمم المتحدة بكتابٍ أسماه: "خمس سنوات في بيتٍ من زجاج". فكتابة السِّيرة ليس تخليدًا، ولكنها أيضًا نقل للخبرة، فكتابة السِّيرة من الأشياء المحبوبة والمُعلِّمة للإنسان.

أيضًا الأيقونات مشاهد من التاريخ، وقد رعينا هذا في أيقونات الكاتدرائية بالعباسية، فوضعنا أيقونة لعودة رفات القدِّيس البابا أثناسيوس سنة ١٩٧٣م، وأخرى لظهور العذراء في الزيتون سنة ١٩٦٨م، وأُخرى للاعتراف بالبابا كيرلس السادس قدِّيسًا سنة ٢٠١٣م، وهكذا تكون أحداث التاريخ.

فوجود الأيقونة هو مشهدٌ تاريخي؛ والصورة تصبح أيقونة بعد تدشينها بالميرون، لأنها ترسم لنا صورة روحية لحياة القدِّيس أو القدِّيسة. فالتاريخ جزءٌ لا يتجزَّأ من العبادة الكنسيَّة.

وأيضًا من وسائل تسجيل التاريخ، كتاب بستان الرهبان، إذ يقول الكتاب: "سأل أخٌ

شيخًا ...”، أو ”قُلْ لي، يا أبي، كلمة منفعة ...“. فلم تكن توجد قديمًا وسائل تسجيل (ريكوردر) أو موبايل، لكن تسجيل هذه العبارات كان يتمُّ بالكتابة. وعندما كان يأتي السائحون والزوَّار لزيارة الأديرة ويتقابلون مع النُّسَّاك، كانوا يكتبون شيئًا من أقوالهم. فمثلًا في سيرة القدِّيس الأنبا بولا أبي جميع السوَّاح، لا نعرف عن سيرته إلَّا عبارة: ”مَنْ يهرب من الضيقة يهرب من الله“!! فتسجيل التاريخ هامٌ للأجيال، وكلمة المنفعة هامة للتاريخ، فمثلًا اعترافات القدِّيس أُغسطينوس هي وسيلة للتعليم.

وقديمًا كان الأطفال يتربّون في بيوت الأجداد، وهنا يأتي دور الجِدّ أو الجدَّة في سرد قصص من تاريخ الكنيسة لهؤلاء الأطفال، وكانت هذه إحدى وسائل نقل التاريخ. ومن أقوى التداريب في التربية، هو وضع الأطفال مع الأجداد، وخصوصًا إذا كانت الحالة الصحيَّة لهم تسمح بذلك، ولهم من طول البال ما يتناسب مع تربية الأطفال.

الخُلاصة: إنَّ التاريخ جزءٌ لا يتجزَّأ من جواهر العبادة الكنسيَّة، ولا نستطيع أن نفهم تاريخ الكنيسة دون أن نفهم تاريخ العقيدة والطقس؛ وعندما نعرف التاريخ ونعيش فيه، هنا نستطيع أن نفتخر بكنيستنا التي قدَّمت إيمانها المستقيم من خلال ثلاث فئات، وهم:

أولًا: معلّمو اللاهوت الذين ظهروا وبَرَعوا، وقد كتبوا الإيمان وسجَّلوه بأفواههم.

ثانيًا: من خلال الشهداء الذين كتبوا إيمانهم بدمهم وحياتهم.

ثالثًا: من خلال النُّسَّاك والرهبنة التي قدَّمت الإيمان بالنُّسك والزهد.

فتاريخنا هو إيماننا الذي قدَّم في صورة المُعلّمين والشهداء والنُّسَّاك، وهذا يجعلنا نفهم أنَّ الاهتمام بالتاريخ هو أقوى معلّم. فمن المهم أن يعرف الإنسان تاريخه، وكيف عاش أجداده؟! وكيف كانوا يواجهون المواقف المختلفة في حياتهم؟!

التاريخ، بالحقيقة، هو فخر كنيستنا. والحديث عن التاريخ، ليس حديثًا عن شيء منتهي، ولكنه شيءٌ مُعاش. وفي أديرتنا القديمة، نشعر أنَّ الحوائط قد امتصَّت الصلوات والتسابيح والألحان التي رُفِعَت خلال مئات السنين. وعند البحث في بطون التاريخ، سنكتشف كيف يعمل الله! وكيف ينطبق علينا قول الكتاب: «حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ: "الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟"» (عب ١٣: ٦).

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

الصليب
من الوجهة الإيمانية[1]

يستمدُّ الصليب قوَّته الخالدة واللانهائيَّة والخلاصيَّة من موت يسوع المسيح ابن الله عليه. فالمُرادف اللاهوتي لكلمة "الصليب" في المسيحية عميقٌ غاية العُمق، فكلمة "الصليب" تُعادِل في مضمونها الإيماني "إنجيل الخلاص" كُلّه. فهي تعني في بساطةٍ وإيجاز: موت يسوع المسيح من أجل خطايانا. لذلك فالكرازة بالإنجيل، تعني الكرازة بالصليب.

والكرازة بالصليب للناس، لا تحتاج أقوالًا كثيرة أو حكمةً عميقة: «لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ» (١كو١: ١٧). فالصليب قوَّة وليس كلامًا، أي إنَّ الصليب لا يظهر للناس بالشرح، ولكن بالإيمان والعمل: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١كو١: ١٨).

وما هي قوَّة الصليب؟

أولًا: مصالحة:

فالمسيح على الصليب صالَح الخُطاة بالله، على أساس أنه مات من أجلهم كوسيط بينهم وبين الله، وسّفَكَ دمه من أجل خلاصهم ليغتسلوا ويتطهَّروا ويتقدَّسوا به؛ لأنه دم ابن الله القادر أن يُطهِّر أعماق الضمير من كافة الأعمال الميتة، والخطايا التي تستحق الموت.

كما إنَّ المسيح على الصليب صالَح الإنسان بالإنسان، لأنه قَتَلَ العداوة نفسها بالصليب، وذلك عندما جعل نفسه وسيطًا بين كلِّ عدوَّين مُتخاصمين في الوجود، يدفع عن كلٍّ منهما تعدِّياته وإساءاته: «وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ» (أف٢: ١٦).

فالذي يتمسَّك بالصليب يستمدُّ منه قوَّة الصُلح والسلام التي أحرزها المسيح عليه، حتى يتصالح بها كلُّ إنسانٍ مع الله والناس: «عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ» (كو١: ٢٠)، ليس كأنها مرَّةٌ واحدة بالإيمان وحسب؛ بل بالمُمارسة اليومية، جاعلًا الصليب المُلطَّخ بدم

(١) عن كتاب: "الصليب المقدَّس"، للأب متى المسكين، طبعة ثالثة: سنة ١٩٧٩.

المسيح أمامه كلَّ حين، يستمدُّ منه الشجاعة والجرأة للقدوم إلى الله للخلاص من الخطية، فلا ييأس قط. كما يستمدُّ منه العون والمؤازرة ليصفح حالًا عن أخيه، ويتنازل عن حقِّه لكلِّ مَن يُسيء إليه، مُتمسِّكًا بقوَّة الدم الكريم الذي تخضَّبت به خشبة الصليب.

ثانيًا: انعتاق من سلطان الخطية:

يتغلغل سلطان الخطية فينا عن طريق الجسد، فارتباطنا بالخطية يكون بواسطة الجسد. والمسيح أَخَذَ جسدنا ومات به من أجلنا على الصليب، فأنهى بذلك كلَّ ارتباطٍ بين الخطية وبيننا، لأن الجسد الذي كنَّا مرتبطين به مع الخطية مات على الصليب: «إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ» (رو ٧: ٦)، أي الجسد.

«وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» (كو ٢: ١٣، ١٤). وهنا يقصد بولس الرسول بعبارة: «مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» أي : "الجسد"، وفي نفس الوقت "صكّ الخطايا".

إذن، فالذي يمسك بالصليب كرمزٍ لقوَّة الموت الإرادي عن الجسد، فإنه ينال الانعتاق من سلطان الخطيَّة، ويصير حُرًّا بروحه، ليعبد الله بجِدَّة الروح لا بعِتْق الحرف (انظر: رو ٧: ٦).

هنا قوَّة الصليب حقيقيّة وسريَّة، في نفس الوقت؛ وهي قوَّة موت وقوَّة حياة معًا. وكلما ركَّز الإنسان إيمانه وجهاده للحصول على هذه القوَّة، فإنه ينالها ويقهر بها سلطان الخطية.

ثالثًا: انعتاق من موت الكبرياء وقبول قوَّة الاتضاع:

علامة الصليب عند العالم هي رمز موت الخِزي والعار. فالرومان لم يستخدموا الصليب لمجرد الإعدام، وإنما للتشهير والفضيحة. فوسائل الإعدام كانت كثيرة عندهم، ولم يكن يُحكَم على إنسانٍ روماني الجنس قط بالصَّلب، فالصليب كان للأدنياء. لذلك نسمع بكلِّ وضوح الكتاب يقول: «احتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالخِزي» (عب ١٢: ٢). فالصليب آية اتضاع الله. والكتاب يقولها صراحةً: «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في ٢: ٨).

إذن، فقد شفى المسيح موت كبرياء الإنسان بفضيحة موت عار الصليب، ودَفَعَ ثمن عجرفة مُخالفة بني آدم بمذلَّة طاعة الموت على الصليب.

ولكن من حضيض مذلَّة الصليب، استخرج لنا المسيح الخلاص من الموت، والانعتاق من الكبرياء الذي قتلنا.

إذن، فليست قوَّة في الوجود تُلهِم الإنسان الاتضاع وتشفيه من الكبرياء، قدر قوَّة الصليب، حينما يستلهم منها الإنسان في كلِّ لحظة مواقف التنازُل والانخفاض: «فَلْنَخْرُجْ إِذًا إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ» (عب١٣: ١٣).

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي ... يَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي» (لو٩: ٢٣)، أي يحمل اتضاعه ويحتمل مذلَّته مثلي. فمن خلال خِزي الصليب وعاره، استطاع المسيح أن يُعلِن حكمة الله ومجده. لذلك، فالصليب هو قوَّة الاتضاع، التي هي بعينها حكمة الله لخلاص الإنسان ومجده.

رابعًا: غلبة الشيطان:

إنَّ من أعمق أسرار الصليب، اندحار الشيطان بواسطته. فالربُّ لمَّا سُمِّر على الصليب، صَدَرَ في الحال حُكْم الله بدينونة الشيطان وهلاكه الأبدي بمقتضى العدل الإلهي. لأنه عندما تسبَّب الشيطان في موت الإنسان كان له العذر، إذ إنَّ الإنسان وافق مشيئة الشيطان وعصى الله مثله، واستحقَّ الموت واللعنة. ولكن لمَّا تسبَّب الشيطان في موت ابن الله، لم يكن له أدنى عذر، لأنه معروفٌ أنَّ المسيح لم يصنع خطية واحدة، ولا وُجِدَ في فمه غش، وقد تمَّم كلَّ مشيئة الله. إذن، فقاتِل البريء لا بد أن يُقتل.

لقد اكتشف الشيطان مُخالفته العظمى لله على الصليب، وسقط في يد ابن الله! فبمجرد أن قَبِل المسيح الموت، تجرَّد الشيطان من كلِّ سلطانه: «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (أي في الصليب)» (كو٢: ١٥).

كان الشيطان قبل الصليب يجهل مصيره؛ أمَّا على الصليب، فقد عرف كلَّ ما ينتظره. لذلك صار له الصليب، وثيقة الدينونة التي سيُحاكم بمقتضاها، وصورة الحُكْم بالهلاك الأبدي.

ومن هنا أصبحت علامة الصليب علامة رُعبة للشيطان وكلِّ جنوده. لقد ترك الله الشيطان مُقيَّدًا بالصليب إلى الآن، إلى أن يأتي زمان الدينونة. وأصبح لكلِّ إنسان، حتى الطفل، سُلطان أن يُقيِّد الشيطان بالصليب، كما قيَّده المسيح وحلَّ قوَّته وسلطانه.

لذلك، فكلُّ مَنْ يتمسَّك بقوَّة الصليب، يأخذ غلبة على الشيطان.

من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

تأمُّلات تحت أقدام الصليب[١]

إنَّ التأمُّل المتواصل في صليب ربنا، يُكسِب النفس حريةً وسلامًا وقوةً وغفرانًا.

وبقدر ما يزداد تأمُّلنا في الصليب، بقدر ما تتعمَّق شركتنا ومعرفتنا للربِّ يسوع.

إنَّ المسيحي لا يستطيع أن يقول إنه يعرف المسيح، إنْ لم يكنْ له شركة مقدَّسة في تأمُّلٍ مستمرٍ في صليب المسيح. لذا جيِّدٌ لنا أن نقف يوميًّا أمام الصليب نتأمَّل **أولًا:** في خطايانا التي سبَّبت هذا الصليب؛ **وثانيًا:** في عُمق محبة الله، الذي قَبِلَ كلَّ هذه الآلام في جسده نظير خطاياي.

إلهي يسوع:

إنَّ صليبك الغالي هو أجمل هدية منك لي، أقبله وأحمله بفرحٍ. وإنْ لم تُرسل لي، يا حبيبي، صليبًا، سأبحث لي عن صليبٍ داخلي، ربما يكون تدريبًا على احتمال، ربما صوم، ربما سهر، ربما خدمة... وسأقبل كلَّ هذا بسرور. نعم حقًّا قيل: " إن الذين تذمَّروا على الصليب، وجدَّفوا، انحدر بهم الصليب للهاوية (كاللِّص الشمال)، والذين قبلوه بفرح، ارتفع بهم للفردوس (كاللِّص اليمين)"[٢] . إنَّ أجمل فرصة في حياة اللِّص اليمين كانت لحظة اقترابه من يسوع المصلوب. ربي وإلهي، لا تسمح لي أن أبتعد عن صليبك أبدًا، ولا عن نِيرك الهيِّن.

إلى أيِّ حدٍّ وإلى أيِّ مدًى سأحمل الصليب؟

كثيرون ساروا وراء الرب يسوع، ولكن قليلين جدًّا وصلوا إلى الجلجثة. هؤلاء الذين أحبُّوك: أُمُّك العزيزة الحبيبة؛ ومريم المجدلية التي أحبَّت كثيرًا، فغُفِرَت لها خطاياها الكثيرة؛ ويوحنا الحبيب الذي تعلَّم الاتِّكاء على صدرك الحنون.

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد أكتوبر ١٩٦٩، ص ٢٠.

(٢) يقصد كتاب: "يسوع المصلوب"، للقمص منسَّى يوحنا.

ربي يسوع، إنَّ الحبَّ كان هو الطاقة الجبَّارة التي أوصلت هذه النفوس إلى الجلجثة.

يسوع يقع تحت الصليب:

إنَّ منظر الرب يسوع وهو واقعٌ تحت ثِقَل الصليب، لمنظرٌ رهيب يكشف عن ثِقَل خطية العالم، ويؤكِّد أنَّ لا شيء يوقِع حامل الكون بكلمة قدرته، إلَّا خطيتي وخطية الآخرين.

يا نفسي، كلُّ مرَّةٍ ترين هذا المنظر الرهيب، اذكري سقوطكِ، وحالًا قومي بقوَّة ذلك الذي حَمَلَه عنكِ. تذكَّري أنَّ الرب يسوع وقع معكِ تحت نِير الصليب.

إنَّ سقوط الرب يسوع تحت نِير الصليب، يساوي قيامي وحريتي من عبودية الخطية. أشكرك، يا إلهي، وأُمجِّد اسمك، وأقبل حَمْل صليبك الذي وهب لي القيام من الخطية.

أخاف الوقوع تحت ثِقَل صليبي!

أولًا: لا تخافي، يا نفسي، لأن الله لا يَدَعكِ تُجرِّبين فوق ما تحتملين، كالخيَّاط الماهر الذي يُفصِّل الثوب مضبوطًا على صاحبه. إلهنا ايضًا يُعطي التجربة بالقياس. لذلك، يا إلهي الحبيب، لن أختار لنفسي صليبًا، بل أطلب إليك ان تختاره أنت لي.

ثانيًا: إنَّ التجربة لها قصدٌ واحد هو خلاص نفوسنا. وهذا هو معنى قول الرسول: «... كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ» (رو ٨: ٢٨). أيُّ خير؟ الخير الروحي، وهو الأهم.

ثالثًا: يجب أن لا ننسى أنَّ الرب يسوع معنا في حَمْل الصليب، هو بجوارنا. لقد وقع الثلاثة الفتية في أتون النار؛ ولكن كان الرب يسوع معهم، فحوَّل النار لبرودة. فالربُّ يسوع لم يأتِ إلى العالم ليمنع عنَّا الصليب، ولكن ليشترك معنا في حمله.

ولكن ربما البعض يعترض ويقول: "لقد اجتزنا التجربة وحدنا". ولكن الرب يسوع يردُّ عليهم: "لقد كنتُ معكم، ولكنكم رفضتم النظر إليَّ، وأنا حامل الصليب؛ ولكن نظرتم لتعزية الناس".

اطمئني، يا نفسي، فإنَّ يسوع يُلازمك حاملًا الصليب. لا تخافي من الوقوع، ثقي أنَّ الرب يسوع بجانِبك. لقد كان الرب يسوع نائمًا في السفينة، ومع ذلك فقد كان البحر هائجًا. آمني فتنجي.

شكرًا لك، يا إلهي، لمحبتك، يا حَمَل الله، يا حامل خطية العالم كلِّه. من أجل هذا لن أختار لي صليبًا، بل أتركك أنت تختار لي صليبي، والذي سأضعه أنا على كتفك.

إلهي، أشكرك، ارحمني وأَعنِّي.

تذكار
الصليب المقدَّس

الربُّ يسوع صُلِبَ من أجلي[1]

❖✲❖

في تسبحة أسبوع الآلام التي نُكرِّرها كل يوم مراتٍ كثيرة، نقول في المقطع الأول منها: "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد، آمين. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا"، في صيغة الجمع. وفي مقطعها الثاني نقول: "يا ربي يسوع المسيح مُخلِّصي الصالح" بصيغة المفرد؛ والغرض من ذلك، التأكيد على أن ما عمله المسيح على الصليب يحتاج إلى إيمان شخصي لقبوله. كما يؤكِّد أنَّ المسيح عندما مات على الصليب، مات لأجلي ولأجلك شخصيًّا، مات لأجل كلِّ إنسانٍ فينا باسمه وشخصه. لذلك نجد الرسول بولس يؤكِّد على هذا المفهوم الشخصي بقوله: «أَحَبَّنِي (أنا شخصيًّا) وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غل ٢:٢٠).

وفي نصِّ قانون الإيمان الذي تُردِّده الكنيسة كلَّ يوم، تَرِد هذه العبارة: "الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنَّس وصُلِبَ عنَّا". هذه العبارة اللاهوتية الهامة تُشير إلى أن صَلْب المسيح على الصليب كان لأجلي ولأجلك، فمحبته لنا محبة شخصيَّة وعميقة جدًّا. ويمكننا أن نُردِّد مع إشعياء النبي ترنيمة العبد المتألِّم بصيغة الجمع، كما يمكننا أيضًا أن نُردِّدها بصيغة المفرد: "لقد حَمَلَ أحزاني، وأوجاعي تحمَّلها. وهو مجروحٌ لأجل معاصيَّ، مسحوقٌ لأجل آثامي. تأديب سلامي عليه، وبجلداته شُفيتُ". من أجلي عُلِّق على الصليب، بسبب خطاياي، ومن أجل أن يمنحني الغفران.

في كتاب: "سيرة مختصرة لحياة يسوع المسيح"، يذكر العالِم الفيزيائي والفيلسوف الرياضي والأديب الفرنسي بليز باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢م)، وهو من أعظم المُفكِّرين الذين أنجبتهم البشرية، يذكر قصة تحوُّله للإيمان. فكتب يقول: "في منتصف ليلة ٢٣ نوفمبر

(١) للمُتنيِّح نيافة أنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار، من كتاب: "مفاهيم إنجيلية"، طبعة ٢٠١٧، ص ٢٠٢؛ (تذكار نياحته ٢٩ يوليو).

١٦٥٤م، تكلَّم معي الربُّ يسوع قائلًا: بليز، لقد كنتُ أُفكِّر فيك أثناء آلامي". هذا الاختبار كان سبب إيمان هذا الفيلسوف والعالِم. لقد شعر أن صليب المسيح كان لأجله هو شخصيًّا. لقد قال المسيح: "بليز، إنه من أجلك احتملتُ كلَّ هذا". لقد تألَّم الرب يسوع ومات ودُفِن وقام ثانيةً، ليس من أجل البشرية عامةً، لكن من أجل كلِّ إنسانٍ في هذه البشرية بصفةٍ خاصة.

كتب قدِّيس روسيا العظيم تيخون زادونسكي (١٧٢٤ ـ ١٧٨٣م) في هذا المعنى قائلًا: "لقد باعوك، أيها الربُّ، وأسلموك للخطاة، حتى تمنحنا نحن العبيدَ الحريةَ. خضعتَ لمُحاكمةٍ جائرةٍ، أنت يا مَنْ تحكم كلَّ الأرض، حتى نخلُص نحن من الحُكْم الأبدي. تعريتَ حتى تكسونا برداء الخلاص. وضعوا على رأسك إكليلِ شوك حتى ننال نحن إكليل الحياة. وُضِعْتَ في قبرٍ حتى تُقيمنا من موت القبر. هذا فعلتَه من أجلنا، نحن عبيدك غير المستحقِّين، أيها الرب".

لا يمكننا أن نُحيط بكلِّ مفهوم الصليب والقيامة، إن لم نفهم أنَّ ما فعله المسيح كان من أجلنا، ومن أجل كلِّ شخصٍ فينا بالتحديد.

حدث مرةً في يوم الجمعة العظيمة أن مرَّ ثلاثة من الشباب المُستهتر أمام إحدى الكنائس في باريس، ولاحظوا وجود صفٍّ طويل من المؤمنين ينتظرون أن يُقدِّموا اعترافهم أمام كاهن هذه الكنيسة. ولعدم إيمان الشُّبَّان الثلاثة بالمسيح، بدأوا في التهكُّم على هؤلاء المؤمنين، معتبرين أنَّ كلَّ ما حدث في هذا اليوم ـ يوم جمعة الصلبوت ـ كان مجرَّد مهزلة تاريخية.

وقرَّر أحدهم أن يدخل ويُقابل كاهن الكنيسة ليقول له رأيه في المسيح والمسيحية. ولَمَّا مثل أمام أب الاعتراف، قال له: "لقد كنَّا نسير خارج الكنيسة ورأينا هذا الجمع من الشعب منتظرين لتقديم اعترافهم. فرأينا أنَّ كلَّ ما يحدث هنا ليس إلَّا مسرحية هَزْليَّة، وقرَّرنا أن ندخل ونقول لك رأينا".

فأجابه الكاهن: "حسنًا، لكن أطلب منك شيئًا واحدًا قبل مغادرتك الكنيسة، ادخل إلى داخل الكنيسة وتقدَّم أمام الهيكل الرئيسي، وانظر إلى يسوع وهو مُعلَّقٌ على الصليب، وقل له: "لقد متَّ من أجلي، أيها المسيح، لكن هذا الأمر لا يهمُّني على الإطلاق". وأريدك

أن تُكرِّر هذه العبارة ثلاث مرات، ثم يمكنك مغادرة الكنيسة".

فوافق الشاب المُستهتر على ذلك، وتقدَّم أمام الهيكل ونظر إلى جسد الربِّ يسوع المُعلَّق على الصليب، وبصعوبةٍ بالغة قال مرَّةً واحدة: "لقد متَّ من أجلي..."، وتحوَّل مُسرعًا من أمام الهيكل. فاستوقفه الكاهن وقال له: "لقد وعدتني أن تقولها ثلاث مرات". فرجع الشاب مُتردِّدًا، ونظر إلى المسيح، وجفَّت الكلمات على شفتيه، ولكنه أخيرًا فعلها وقال: "لقد متَّ من أجلي"، وجفل مُبتعدًا عن الهيكل. فاستوقفه الكاهن ثانيةً وقال له: "لقد وعدتَ أن تقولها مرة ثالثة". فرجع بعد تردُّدٍ شديد، وأخذ ينظر إلى الصليب متأمِّلًا في جروح المصلوب مدَّةً طويلة، ثم عاد إلى الكاهن وقال له: "أبي، أنا مستعدٌّ أن أُقدِّم اعترافي".

مَن يستطيع أن ينظر إلى الربِّ يسوع المصلوب من أجلنا، ولا يقول له: "ارحمني، يا ربُّ، لأني خاطئ"[٢].

رسالة حب:

الصليب ليس فقط حقيقة قائمة بذاتها، لكنه أيضًا نافذة نُطل منها على حقيقة أخرى عظيمة، وهي محبة الله للبشر: «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣:١٦). الله لم يَعُدْ صامتًا، ولم يَعُدْ محتجبًا بعيدًا عن أنيننا كما كان في الماضي: «حَقًّا أَنْتَ إِلهٌ مُحْتَجِبٌ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ» (إش ٤٥: ١٥)؛ لكنه تخلَّى عن احتجابه وأظهر محبته من فوق الصليب.

+ «اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو ٥:٨).

+ «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا» (١يو ٤:١٠).

+ «لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إش ٥٣:٤و٥).

+ «ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مت ٢٠:٢٨).

(2) Anthony M. Coniaris, *Orthodoxy: A Creed for Today*, p. 131,132.

+ «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ ... بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بط ١:١٨و١٩).

+ «الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أف ١:٧).

▪ بعد هذا أشفقتَ علينا كإلهٍ صالح ومحب البشر، وأردتَ أن تُخلِّصنا من يد الذي سبانا؛ وأردتَ أن تُعيدنا مرَّة أخرى إلى فردوس النعيم. فأرسلتَ أنبياءك، فلم يقدروا أن يُخلِّصونا. أعطيتَ الناموسَ فلم يَصِر لنا عونًا. فرضيتَ بإرادتك أن تبذلَ ذاتك للموت عنَّا وعن حياة العالم[٣].

زار أحد الكهنة إنسانًا يحتضر، ولم تكن الفرصة مواتية لسماع أيَّة عظة قبل رحيله، فما كان من الكاهن إلَّا أن أمسك بالصليب وعليه صورة المصلوب وقرَّبه من عينَي المريض، وقال له: "انظر، ما أعظم محبة الله لك"!

عندما مات الرب يسوع على الصليب، كان كمَنْ يقول لنا: [لا شيء يمكنكم أن تصنعوه بي قادرٌ أن يوقِف محبتي من نحوكم. من الممكن أن تضربوني وتسحقوني وتجلدوني، ويمكنكم أن تقتلوني على الصليب، لكنني لن أتوقَّف عن محبتكم، هذا هو عِظَم محبتي لكم "يا أبتاه اغفر لهم"]. إنَّ كلَّ ما حدث على الجلجثة، كان نافذة يمكننا أن نرى من خلالها قلب المُحبِّ المتألِّم من أجلنا. لقد قدَّم الإنسان لله ذبائح كثيرة لعدَّة قرون خلت؛ أمَّا على الجلجثة، فقد رأينا الله يُقدِّم ذاته ذبيحة فدية عن الإنسان: «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يو ١٥:١٣). هذا هو حبُّ الله لكلِّ واحدٍ منَّا.

هل يحبُّني؟!

قال أحد الرعاة: إن أسعد إنسان عرفتهُ كان إنسانًا قد سقط وهو في سنِّ الخامسة عشرة على ظهره، وأصابه كسر في العمود الفقري؛ وبذلك صار طريح الفراش لمدَّة أربعين عامًا. ربما لم يمرَّ عليه يوم طوال تلك السنوات دون آلام مُبرِّحة أثناء أيَّة محاولة للحركة. ويومًا ما طرح أحدهم عليه هذا السؤال: "ألم يُحاربك الشيطان أبدًا، لكي يُشكِّكك في الله، ويُلقي في

(٣) خولاجي الدير الأبيض (٢٠١٤)، ص ١١٠.

فكرك أنه إلهٌ قاسٍ"؟ فأجابه بتلقائية: "نعم، لقد حاول ذلك مرَّاتٍ كثيرة. عندما كنتُ أجلس وأرى أصدقاء مدرستي القدامى وهم يقودون سياراتهم، كان الشيطان يوعز إليَّ قائلًا: "لو كان الله صالحًا، فلماذا يتركك هنا كل هذه السنين طريح الفراش؟ ربما كنتَ الآن رجلًا غنيًا تنعم بقيادة سيارة ليموزين"! وعندما أرى إنسانًا كنتُ أعرفه منذ الطفولية، وهو يسير في صحةٍ تامة، كان الشيطان يهمس في أُذني: "إن كان الله يحبُّك، ألم يكن قادرًا أن يُجنِّبك هذا المصير الأليم""؟ وعندما سألوه: "كيف كنتَ تُجيب الشيطان على هذه الوساوس"؟ فأجاب فورًا: "كنتُ آخذه إلى الجلجثة وأُريه يسوع، وأُشير له على الجروح البادية في يدَي يسوع ورجليه وجنبه، ثم أقول له: "هل هناك حبٌّ أعظم من هذا"؟!"[٤].

كم أنت عزيزٌ في عينَي الله:

كما إنَّ الصليب يُظْهِر محبة الله لنا، فهو أيضًا يُبيِّن كم أنت عزيزٌ في عينَي الله. إذا قدَّم إنسانٌ حياته من أجلك، فمن الضروري أن تكون شخصًا مهمًا؛ فإن كان هذا الإنسان هو الله ذاته، فمن البيِّن أنك مهمٌّ جدًّا. فمثلما نحكم على قيمة اللوحة الفنية بالثمن المدفوع فيها، هكذا يمكننا أن نُقيِّم ذواتنا بالثمن الذي دفعه الله فدية لأجلنا: «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ. بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بط ١:١٨و١٩).

حضر طفلٌ صغير إلى الكنيسة لأول مرَّةٍ، وكان ذلك يوم الجمعة العظيمة. وهناك أصغى باهتمامٍ إلى قصة الربِّ يسوع المصلوب، ومقدار محبته العظيمة لنا: كيف تألَّم من أجلنا، وكيف غفر لنا خطايانا مانحًا إيَّانا الحياة الأبديَّة! وفي نهاية خدمة يوم الجمعة العظيمة، بدأ المُصلُّون في الانصراف إلى بيوتهم. فلم يفهم هذا الطفل: لماذا يبدو على المُصلِّين وكأنهم لا يُبالون لِمَا استمعوا إليه؟ فجلس الطفل في كرسيه وبدأ يجهش بالبكاء. فاقترب منه والده وقال له: "يا ولدي، لا ينبغي أن تتأثَّر هكذا بشدَّة وتجعل هذا الأمر يسيطر على حياتك، لئلا يظنَّ بك الناس أنك غير ناضجٍ"[٥].

يبدو أن هذا هو ما يحدث معنا أحيانًا عندما نحضر صلوات هذا اليوم العظيم سنةً

(4) Anthony M. Coniaris, *Orthodoxy: A Creed for Today*, p. 134.
(5) Ibid., p. 146.

بعد أخرى، ونخرج من الكنيسة وكأننا نشاهد تمثيلية يوم الجمعة العظيمة، غير مُدركين قيمة الفداء العظيم الذي حقَّقه المسيح من أجلنا، وقيمة المحبة التي دفعته ليبذل نفسه من أجلنا: «الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاِثْنَيْنِ (اليهود والأمم) وَاحِدًا،... لِكَيْ يَخْلُقَ الاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا صَانِعًا سَلاَمًا. وَيُصَالِحَ الاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ» (أف ٢:١٣-١٦).

****

دير القديس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **للأب متى المسكين**

الكنيسة
جسد المسيح السِّرّي

(وهو عبارة عن: عِظة أُلقيت في عيد الرُّسل ١٢ يوليو ١٩٨٧م؛ وعظة أُلقيت مساء الأحد ١٩ يوليو ١٩٨٧م)

١٠٤ صفحة (من القَطْع المتوسط)

❀✚❀

وصَدَرَ حديثًا **لنيافة الأنبا إبيفانيوس**

في الوحدة المسيحية

(وهي مقالات وكلمات لنيافته بمناسبة الذكرى السنويَّة الخامسة لنياحته)

١٣٦ صفحة (من القَطْع المتوسط)

❖✠❖

كما صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار**

الإفخارستيا سرُّ الوحدة
سرُّ الجماعة المجتمعة

٦٤ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

بمناسبة
عيد النيروز

المسيح المتألِّم في شهدائه[1]

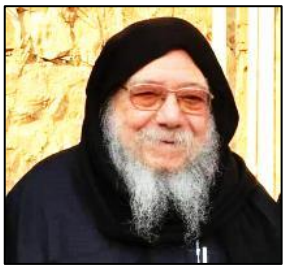

+ «عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ» (عب ١١: ٣٥).

❖✲❖

حينما اختار المسيح تلاميذه الاثني عشر ودعاهم ليكونوا رُسلًا، لم يَعِدْهم بمجدٍ وكرامات في هذا العالم، بل أخبرهم بما سيُلاقونه من ضيقاتٍ، وذلك بقوله لهم: «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ» (مت ١٠: ١٦-٢٢).

ثم أكمل الرب قائلًا: «وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ» (مت ١٠: ٢٨). ثم أضاف قائلًا: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (مت ١٠: ٣٤-٣٩).

---

(١) عن كتاب: "طعام الأقوياء"، الجزء الأول، طبعة أولى ٢٠١٧ ، ص ٣٧٢؛ للمُتنيِّح الأب القس يوحنا المقاري (تذكار نياحته ٣ يوليو).

هذا هو خطاب التجليس الذي به سلَّم الرب يسوع مهام إرساليته لتلاميذه ورُسُله الاثني عشر، إذ بدأ بإنبائهم بأنهم مُرسلون كغنمٍ في وسط ذئاب. وما هو مصير الغنمة وسط الذئاب إلَّاالقتل والافتراس! ولكن ما أعجب فاعلية طعم الغنمة حينما يفترسها الذئب! إنها كفيلة بأن تُغيِّر طبيعة الذئب وتُحوِّله إلى غنمة. وهذا ما حدث مع شاول الطرسوسي حينما اشترك في قتل استفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء، فقد افتقدته نعمة الله وصار بولس رسول الأُمم.

إنَّ طبيعة إرسالية المسيح يجب أن تكون مفهومة من البدء في كونها ليست تكريمًا وتجليسًا على كرسي الرئاسة؛ بل هي إنكار للذات وحَمْل للصليب، هي استعدادٌ للتسليم إلى محاكم والجّلْد في مجامع، هي الشهادة أمام ولاة وملوك، باستعداد الموت من أجل اسم المسيح.

فالمسيح لم يأتِ ليُلقي سلامًا على الأرض، بل جاء ليغرس سلامه الكامل في القلوب حتى لا تخاف من التعذيب والموت، ولا ترهب من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. وهو يُطالبنا أن نحبَّه أكثر من الأب والأُم والابن والابنة والأهل والأعزَّاء، ويُحذِّرنا من أن نحب أحدًا أكثر منه مهما كانت علاقته بنا. فأعداء الإنسان أهل بيته، إذا صار تعلُّقنا بهم عائقًا عن حُبِّنا للمسيح: «وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا». وهذا هو نفس ما قاله الرب يسوع أيضًا في موضعٍ آخر: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ١٢: ٢٥).

الشهادة والاستشهاد:

الشهادة للمسيح بالفم، هي الكرازة بالحياة الأبدية، وقد تكلَّم الرب يسوع عن هذه الشهادة مُبيِّنًا أنها هي التي يضطلع بها الروح القدس، وذلك حينما قال: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي». ولكنه يشهد في أفواه رُسُله وخُدَّامه وشهدائه، فهو يشهد للمسيح فيهم وبهم، لذلك أكمل المسيح قوله هذا هكذا: «وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ» (يو ١٥: ٢٦،٢٧).

فالشهادة للمسيح بالفم تستلزم عمل الروح القدس، لأنه «لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَسُوعُ رَبٌّ" إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (١كو ١٢: ٣). كما إنَّ الشهادة بالدم، التي هي الاستشهاد، هي أيضًا ثمرة مباشرة لحلول الروح القدس. فهي ليست عملًا من أعمال الشجاعة أو البطولة أو قوة الإيمان، ولكنها عملٌ من أعمال الروح القدس في النَّفْس التي وضعت في ذاتها حُكْم الموت وخضعت للمسيح وأحبَّته حُبًّا يفوق حبَّها لنفسها: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ١٢: ٢٥).

والمسيح له المجد لم يُطالبنا أن نشهد له أو نستشهد لأجله إلَّا بعد أن قدَّم لنا نفسه مثالًا وطريقًا حيًّا نحيا به. لذلك يستحثُّنا القديس بولس الرسول قائلًا: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (في ٢: ٥-١١).

إذن، فنحن مُطالَبون أن نقتدي بالمسيح، ويكون فينا نفس الفكر الذي كان في المسيح يسوع. فلقد أخلى المسيح ذاته من مجد الأُلوهة، فمع إنه "مساوٍ للآب في الجوهر"، وهو والآب واحد، إذ قال: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»، و«الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»، وأيضًا قوله: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»، «صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو ١٠: ٣٠،٣٨؛ يو ١٤: ٩،١١)؛ إلَّا أنه قَبِلَ أن يتجسَّد في صورة إنسانٍ آخِذًا صورة عبد صائرًا في شِبْه الناس، وبالرغم من تجسُّده لم يزل إلهًا. ومع كونه لم يُخْفِ عن تلاميذه ذلك، إلَّا أنه حتى الليلة الأخيرة قبل بذله ذاته للموت موت الصليب، سأله أحد تلاميذه قائلًا: «يا سيِّد، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا » (يو ١٤: ٨)، فتعجَّب الرب من ذلك وأجابه قائلًا: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟» (يو ١٤: ٩).

من هذا يتضح أن إخلاء الرب لذاته من مجد أُلوهيته قد وصل إلى أقصى حدٍّ، حتى إلى قبوله عار الموت على الصليب، مجتازًا كل مراحل الإهانة والجَلْد والتعذيب واللطم على الوجه والبَصْق، بينما هو القدوس البار الذي لم يوجد في فمه غشٌّ ولم يُبكِّته أحدٌ على خطية.

لذلك، فإنَّ موهبة الاستشهاد العلني بالنسبة للشهداء في المسيح، لا يمكن أن يتهيَّأوا لها إلَّا بإنكار الذات بفعل الروح القدس فينا، إخلاءً يصل إلى حدِّ التجرُّد من كلِّ مجدٍ وكرامةٍ أرضيَّة أو روحيَّة، وقبول الإنسان في أعماقه أن يعيش بإحساس العبد المرفوض والمتألِّم، أي بنفس الإحساس الذي عاشه المسيح: «ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ» (إش ٥٣: ٧). وهكذا فإنَّ سرَّ قبول الاستشهاد والموت بفرحٍ من أجل المسيح، يكمُن في الحياة التي تسبقه، وهذا كله يكون بتعضيد الروح القدس.

المسيح المتألِّم في شهدائه:

لقد ظهر المسيح لشاول الطرسوسي وهو في طريقه إلى دمشق ومعه رسائل من قِبَل رئيس الكهنة: «أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ (أي من التابعين للمسيح)، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلاً لَهُ: "شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟" فَقَالَ: "مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟" فَقَالَ الرَّبُّ: "أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ"» (أع ٩: ١-٥).

وهنا نرى كيف أنَّ الربَّ يتألَّم في شهدائه، ويَعتَبِر أنَّ كلَّ مَن يضطهدهم يضطهده هو شخصيًّا، كقول إشعياء النبي: «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ» (إش ٦٣: ٩)، وكما قال أيضًا زكريا النبي: «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: بَعْدَ الْمَجْدِ أَرْسَلَنِي إِلَى الأُمَمِ الَّذِينَ سَلَبُوكُمْ، لأَنَّهُ مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِهِ» (زك ٢: ٨). وقد عبَّر الرب يسوع عن ذلك أيضًا باحتسابه أنَّ كل ما نفعله بأحد إخوته الأصاغر فإنما بالرب نفعل (انظر: مت ٢٥: ٤٠)، «أَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ» (أف ٥: ٣٠). كما أننا لا يمكن أن ننسى كيف جاء المسيح بنفسه مع الفتية الثلاثة في أتون النار، فصار لهم بَرَدًا وسلامًا (انظر: دا ٣).

وقد علَّق الأب متى المسكين عن هذا الاختبار العجيب الذي يجوزه الشهداء الذين يستهينون بالموت من أجل عِظَم محبتهم في الملك المسيح، قائلًا:

[لأن الشهادة للمسيح بسَفْك الدم هي تجديدٌ حيٌّ للصليب، حيث يكون المسيح

موجودًا في قلب الشهيد، وفكره وروحه، يسنده إلى آخر نَفَسٍ، مُمدِّدًا جسده على جسده وواضعًا جروحه على جروحه! وهذه الحقيقة يكشفها لنا الشهيد إغناطيوس، كخبير في هذا الأمر، هكذا: "إني مستعدٌّ أن أجوز هذه الآلام كلها لكي أكون شريك المسيح فيها، الذي تأنَّس وصار إنسانًا كاملًا، الذي هو في داخلي يُقوِّيني ويُشدِّدني" (رسالته إلى سميرنا ٤)؛ حيث يكون الروح القدس هو المُتكلِّم والمُعطي قوَّةً لتَجاوُز حِدَّة الألم، إلى أن تُشرق على النفس حلاوة الخروج، فتتطلَّع العين على رؤيا العالم الآخر البهيج.

وهنا سرُّ جرأة الشهيد التي يستمدُّها من المسيح القائم فيه كغالبٍ العالم والموت. وهنا أيضًا سرُّ فرحة الشهيد وابتسامته بسبب تجاوزه الألم والتعذيب بفعل الروح القدس المُهدِّئ للنفس والمُعطي السلام للروح. وهكذا يجوز الشهيد كل أصناف العذابات بلا أيِّ شكوى أو اعتراض؛ لأنه في ذلك الوقت يجوز، في الحقيقة، اختبار غلبة الموت وإشراقة الخلود. ومع كلِّ ألمٍ وتعذيب، يذوق جنبًا إلى جنب مجد المسيح عيانًا برؤيا منظورة ومحسوسة (كما نقرأ في سِيَر الشهداء في السنكسار). وفي وسط صخب الاضطهاد والعنف والأعمال الوحشية، تنفتح الأُذُن على سماع أصوات تشجيع سماويَّة من ملائكة وقدِّيسين وأرواح شهداء سابقين، بل والمسيح نفسه][٢].

(٢) الأب متى المسكين، "الشهادة والشهداء"، ص ١٠.

****

دير القديس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار**

الاستشهاد

عَبْر العصور

(وهو تجميع وتبويب لمقالات نُشِرَت في مجلة مرقس من عام ١٩٦٧م إلى عام ٢٠٢٣م،

ولا سيَّما شهر سبتمبر من كلِّ عام)

٤٩٢ صفحة (من القَطْع الكبير – تجليد فاخر)

****

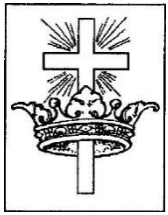

الشهيد إيليان الحمصي[1]

(١)

❖✝❖

أسرته ومُربِّيته الصالحة:

كان والداه وثنيَّيْن، وبينما كان والده الشريف كنداكيوس – الذي كان من أسرة القياصرة – مليئًا بالعجرفة وقسوة القلب، كانت والدته "إخشسترا"[2] حسنة التربية وعلى علمٍ وافر وأدبٍ جمّ، وقد احتملت كثيرًا جدًا من طباع زوجها الشرسة وميوله للسُّكْر والعربدة مع أصدقائه، وعدم اهتمامه بوجودها على الإطلاق، وذلك بطول أناةٍ وصبر نادرين، ولكنها تعزَّت بولادة طفلٍ جميل، هذا الذي رفض أبوه أن يُسمِّيه سوى باسم "يوليان" ليُشير إلى صلته بالقياصرة.

استعانت إخشسترا على تربية طفلها بوصيفةٍ اسمها "مطرونة" بسبب وداعتها وعطفها على الصغار وأمانتها وإخلاصها، هذه الصفات التي كانت تُقابلها رقَّة معاملة إخشسترا وعطفها على مَنْ هم دونها. فما كانت تجرح أحاسيسها بكلمة. فكانت هذه التابعة تعزية كبيرة لسيِّدتها كلما رأت في زوجها ما يُحزنها، كما أنها لم تُشعِرها بأقل تعب في تربية الطفل حتى بلغ وقت فطامه.

ولكن إخشسترا كثيرًا ما كانت ترى مطرونة تعمل على سرير الطفل قبل نعاسه إشارةً لم تُدرك لها معنى، وكأنها تُسلِّمه في نومه لقوَّةٍ أخرى غير منظورة، فخافت من أن تكون ساحرة! فلما سألتها مرةً عن معنى هذه الإشارة: هل هي رُقية؟ وهل هي ساحرة؟ قالت لها: "ثقي، يا مولاتي، أنني أعمل كل ما هو خير لابنك المحبوب، وأنا لا أعرف السِّحر، ولكنني أتضرَّع إلى الإله الذي يعطف على الأطفال ليكون حارسًا لطفلكِ".

- "ومَنْ هو هذا الإله؟ أَلعلَّه أوزيريس أم فشنو الهندي أم موزد الفارسي أم الموجود

---

(١) نسبة إلى حمص إحدى كبرى مدن سوريا، وهذه السِّيرة مُلخَّصة عن كتاب: "إنارة الأذهان في ترجمة الشهيد الحمصي إيليان"، تأليف: الخوري عيسى أسعد، وطُبع عام ١٩٢٨م.

(٢) استدلَّ البعض من هذا الاسم على أنها من أصل يوناني، فاسمها مكوَّن من كلمتين: "IXΘΥΣ إيخثيس" ومعناها "سمكة"، و"ἀστέρος أستيروس" ومعناها "نجم"، أي "سمكة النجم".

الأعظم الذي وصفه أفلاطون وأرسطو"؟

▪ "كلَّا، يا سيِّدتي، فكلُّ هؤلاء هم مخلوقات هذا الإله العظيم. لقد رُسِمَتْ فيكِ صورته، وقد حصلتِ على حظٍّ وافرٍ من الأخلاق التي يطلبها من أتباعه، وداعةً وحُلمًا وصَفْحًا، وهو ليس بعيدًا منكِ وإن كنتِ تجهلين اسمه، بل إنكِ ستكونين من أقرب الناس إليه"!

▪ "بربِّكِ قولي لي، يا مطرونة، ما هو اسمه"؟

▪ "هو، يا سيِّدتي، الكلمة الأزليَّة الذي سُمِّيَ على الأرض "يسوع الناصري"".

▪ "عجبًا! أأنتِ، إذن، مسيحية يا مطرونة"؟ (قالت ذلك وقد تغيَّر منظر وجهها فجأةً)!

▪ "أجل، يا مولاتي، ولكنني لا أكره أحدًا، بل أخدم أيَّ أحدٍ مهما كان مُعتقده".

▪ "لكِ أن تعتقدي ما تشاءين، يا مطرونة، ولعلِّي أسمع منكِ شيئًا عن إيمانكِ هذا فيما بعد".

تأثَّرت إخشسترا جدًّا واندهشت، لأنَّ أكثر المسيحيين الذين عرفتهم كانت أخلاقهم وطهارتهم ونقاوة حياتهم، تنفي ادِّعاء الوثنيين عليهم أنهم يرتكبون الدنايا في خلواتهم. وها هي مطرونة **مثالٌ واضحٌ أمامها،** كما إنَّ اهتمامها بتربية الطفل جعلته ينشأ ذا أخلاقٍ فاضلةٍ وسلوكٍ لطيف وذهنٍ صافٍ.

لمَّا بلغ الصبي السابعة من عمره، أرسله أبواه إلى أحد المكاتب الأهليَّة ليتلقَّى العلوم الرائجة في ذلك العصر، وكانت مُربِّيته الصالحة مطرونة تُحبِّبه في العلم، وتُصلِح له المفاهيم والخرافات اليونانية، وتُظهِر له الغرض الأدبي منها؛ فنشأ مُحبًّا للفضيلة. إلَّا أنَّ والده كان مُتضجِّرًا من هدوء ابنه ورصانته، وكان يوبِّخ زوجته على هذه التربية التي حوَّلت الفتى إلى فتاة! وكان يخشى من أن يشبَّ رجلًا خاملًا لا يتعارك ولا يُخاصم! وكان ينتظر أن يُصلِح هذه التربية متى كبر الولد، لكي يخلق فيه الخشونة والشجاعة والإقدام على الحروب كأجداده الظافرين.

لم تكن إخشسترا راضيةً عن أخلاق زوجها وسُكره، وكانت إذا عاتبته يُهدِّدها بالطلاق. ومرةً غضب حتى رفسها في بطنها، وكانت حاملًا بعد ولادة يوليان، فسقطت مغشيًا عليها ثم أسقطت جنينها ميتًا! ومن ذلك الحين خسرت صحتها التي ظلَّت تتأخر يومًا بعد يوم. ومع كلِّ ذلك، كان يوليان يحترم أباه كما علَّمته مُربِّيته.

في أحد الأيام، سأل الصبي أُمَّه عن أمرٍ حدث له في طريق عودته من المدرسة، وهو أنه وجد بعض التلاميذ يضربون زميلًا لهم بلا رحمة لأنه من أسرةٍ مسيحية. فأشفق عليه، وبمساعدة أحد المارَّة، أنقذه من أيديهم. ثم سألها: "هل أخطأتُ في ذلك ضدَّ ديانتنا، لأنَّ المسيحيين من أعدائنا وهم – كما يُقال – يعبدون رأس الحمار"؟! فقبَّلته أُمُّه وقالت له: "لم تفعل، يا بُنيَّ، إلَّا الحسن. فالمسيحيون هم إخواننا في البشرية، وهم لا يؤذون أحدًا، فلا يجوز الاعتداء عليهم لمجرد كونهم مسيحيين. كما إنني علمتُ من كثيرين أنَّ ما يُشاع عنهم، مثل: عبادة رأس الحمار، وارتكابهم للموبقات في خلواتهم، وتآمرهم على المملكة؛ كل هذه شائعات باطلة يُكذِّبها سلوكهم الهادئ وسعيهم الدائم لعمل الخير. وحسبكَ دليلًا أنهم عند تفشِّي الأوبئة، حينما كان إخواننا (الوثنيون) يهربون ويتركون ذويهم فريسةً للمرض القاتل، كان المسيحيون يجوبون المنازل لتخفيف شقاء المرضى".

ثم حدث أنَّ كنداكيوس اقتاد يوليان ابنه إلى الثكنة العسكرية حيث سلَّمه لأحد القادة أصدقائه، وأَمَر ابنه أن يُطيعه في تلقِّي التدريبات العسكرية مع الكتيبة. وقد تتالت المُحزنات على إخشسترا التي تأثَّرت صحتها بشدَّة من إجهاضها ومُعاناتها من سلوك زوجها، وزاد على ذلك بأنه سلب وحيدها منها ولم يُصرِّح له إلَّا بزياراتٍ قليلة لأُمِّه، فتأخرت صحتها وأُصيبت بمرضٍ في قلبها فشل الأطباء في علاجه، وهكذا بدأت تتَّجه حثيثًا نحو الموت.

كيف آمنت والدته قبل وفاتها؟

لم تُفارق مطرونة فراش مولاتها إلَّا لخدمتها، فكانت خير تعزيةٍ لها بأحاديثها المُسلِّية. ومرةً فتحت معها الحديث عن يسوع الناصري، فقالت لها مطرونة: "أنتِ تعلمين، يا سيِّدتي، قِصَر حياتنا على الأرض، مِمَّا يستلزم أن نهتمَّ بالحياة الأخرى".

▪ "نعم، وكثيرًا ما انشغل فكري بكلامكِ السابق معي، كما إنني راقبتُكِ، فلم أجد إلَّا كل أمانةٍ ووداعةٍ وإخلاصٍ وسهركِ الدائم على وحيدي، ومناجاتكِ المؤثِّرة لمَن تعبدينه. **لذلك فقد احترمتُ عقيدتكِ التي أكسبتكِ هذه الصفات الفاضلة"!**

▪ "أشكركِ، يا مولاتي، كما إنني دائمًا مُعجبة بلُطفكِ ورقَّتكِ، إذ لم أسمع منكِ كلمة جارحة".

▪ "ماذا تظنِّين، يا مطرونة، هل يقبل يسوع امرأة تعيسة نظيري، ولا سيَّما أنها لم تذكره إلَّا في أواخر حياتها وفي وقت الشدَّة"؟

▪ "إنَّ يسوع، يا مولاتي، لمحبته للبشر، مات من أجلنا، فكيف يرفضكِ وهو يدعو جميع المُتعبين والثَّقيلي الأحمال ليُريحهم"؟

▪ "وماذا يجب أن أفعله لكي أستحقَّ عطفه وأصير من أتباعه"؟

▪ "إنه لا يُكلِّفكِ، يا سيِّدتي، سوى أن تؤمني بالذي أرسله الآب مُخلِّصًا لنا وتلتمسي منه قبولكِ بين أتباعه. كما ينبغي أن تشعري أنكِ خاطئة وأنَّ الفادي حَمَلَ عنكِ عبء خطاياكِ الثقيل وحرَّركِ من عبوديتها، لتسيري بنور محبته هذه، لأنَّ المسيح: «مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥)".

فتنهَّدت إخشسترا وقالت: "ليتني أستطيع أن أُبرهن ليسوع أنني أُقدِّر جميله هذا للبشر! ولكنني أشعر بأنَّ أيامي أصبحت معدودة على الأرض، وليس لي ما أُقدِّمه ليسوع برهانًا على صدق محبَّتي سوى قلبي الضعيف".

▪ "هذا هو كل ما يرجوه يسوع من مُريديه أن يحبُّوه من كلِّ القلب، لأنه سبق فأحبَّهم (١يو ٤: ١٩)، وشعوركِ الداخلي بمحبته دليلٌ على قبوله إيَّاكِ".

▪ "إنني لستُ يائسةً، ولكنني أشعر بعدم استحقاقي للتلمذة لهذا الفادي الوديع".

▪ "ثقي، إذن، يا مولاتي، أنكِ مقبولة عنده، لأنَّ شعوركِ بعدم استحقاقكِ هو الخطوة الأولى للوصول إلى يسوع. وها أنتِ ترين كيف يقبل تابعو يسوع الموت حُبًّا في المحافظة على وصيته".

▪ "الآن فهمتُ: لماذا يقبل شهداؤكم العذاب والموت بجسارة؟ حقًّا إنَّ ناموس المحبة أعظم ناموس جاء به أعظم حكيم. والآن ماذا تُشيرين عليَّ، يا مطرونة، أن أفعله"؟

▪ "أُشير عليكِ، يا سيِّدتي، أن تستدعي أحد القسوس ليختمكِ بخاتم الإيمان الذي به يُسجَّل اسمكِ بين أتباع يسوع".

▪ "ولكن، كيف يتسنَّى لي ذلك وكنداكيوس شديد التعصُّب ضد المسيحية"؟

▪ "طرأت عليَّ فكرة: إنَّ أحد القسوس يُمارس مهنة الطب، فنُحضره إليكِ بصفته طبيبًا".

▪ "أحسنتِ الفكرة، يا مطرونة، فافعلي ذلك".

فأحضرت مطرونة شيخًا وقورًا يُدعى القس إيباتيوس، الذي حالما فحص المريضة بحضور زوجها، أشار إلى ضرورة ابتعادها عن ضوضاء المدينة. فنقلها زوجها إلى مصيف الأسرة قرب نهر الأورنت، ورجع إلى منزله.

وفي المصيف، أتمَّ إيباتيوس واجباته كقسٍ وطبيبٍ معًا، إذ كان يُخفِّف آلام جسمها ويُنير روحها كموعوظةٍ لفترةٍ قصيرةٍ نظرًا لخطورة مرضها، ثم عمَّدها بتغطيسها ثلاث دفعات على اسم الثالوث القدوس، ومنحها سرَّ التثبيت (الميرون)، ثم طعَّمها في الكَرْمَة الحقيقية بسرِّ الإفخارستيا. وهكذا شعرت إخشسترا ببنوَّتها لله وأنها وارثة مع ابنه لمُلكه السماوي، فكان هذا هو أول يوم عرفَتْ فيه السعادة الحقيقية في حياتها.

ثم قالت إخشسترا لمطرونة: "الآن رأيتُ بعين الإيمان المستقبل المجيد الذي ينتظرني، فلم يبقَ في نفسي ما آسف عليه في هذه الدُّنيا؛ لكنني أطلب منكِ، يا مطرونة، شيئًا واحدًا، وهو أن تكوني أُمًّا ثانيةً ليوليان وتُقرِّبينه للمسيح لكي أُشاهده معي في الملكوت". فدمعت عينا مطرونة لسببين: الفرح لرسوخ سيِّدتها في الإيمان، والحزن على فراقها القريب. وقالت لها: "إنني، يا سيِّدتي، أسيرة فضلكِ وسأُتمِّم أوامركِ بدقَّةٍ وأمانة".

أمَّا يوليان، فقد سُرَّ جدًّا بالحياة العسكرية التي أكسبته بنيةً قويةً وشجاعة قلب، ولما زار والدته حَزِنَ جدًّا لهُزالها، حيث تصوَّر اليوم الذي سيُحرَم فيه من عطفها. وكان يوليان يرتاح لأحاديث القس إيباتيوس الأدبيَّة والطبيَّة، فأحبه جدًا، وطلب من أبيه اعتزال الأعمال العسكرية لتحصيل المعلومات الطبيَّة، فوافق. وهكذا اهتم يوليان بدراسة الطب، ولا سيَّما المعلومات التي ربما تُساعده على إطالة عمر والدته. فحصَّل معلوماتٍ جديرة بالتقدير في مدةٍ قصيرةٍ، ولكنها لم توصِّله إلى غرضه لأنَّ صحة والدته تأخَّرت جدًّا.

ظلَّ مُلازمًا لسرير والدته حتى قالت له مرةً: "ها قد بلغتَ الرابعة عشرة من عمرك، يا بُنيَّ الحبيب، فأخبرني ماذا ستفعل حينما أُفارقك"؟ ثم أشارت بإصبعها إلى السماء، فلم يفهم يوليان، ولكنها قالت له: "لقد أوكلتُ إلى مطرونة أَمْر تدريبك، فاعتمد عليها بعدي لأنها ستكون أمينةً لك كما كانت معي، وأنا أشتهي أن تتلاقى روحانا في العالم الآخر".

ثم جاء القس إيباتيوس، فهاله تأخُّر حالة إخشسترا وقال: "لم يبقَ لديَّ سوى دواء واحد وهو آخر ما عندي، وأخرج من حقيبته صندوقًا فضيًّا ناولها منه القربان المقدَّس.

فانتعشت روحها وقالت ليوليان: "إنني راحلةٌ، يا ولدي، إلى مكانٍ أفضل، فكُن شجاعًا". وقالت لمطرونة: "لا تنسي ما أوصيتُكِ به". ثم خارت قواها، وركع الشيخ إيباتيوس بجوارها يُشجِّعها. ثم رشمت على نفسها إشارة الخلاص، وفاضت روحها إلى مقرِّ الخلود.

كان يوليان أكثرهم حُزنًا على والدته، وحالما أدرك نظام الحياة العائلية، شعر أنَّ والدته كانت حقوقها مهضومةً كزوجة، وأنَّ أباه لم يكن زوجًا ودودًا لها ولا أبًا صالحًا له. كما شعر بقلَّة مُبالاة أبيه به وعدم تأثُّره لوفاة زوجته، فشعر بجفافٍ يُبعِده عن أبيه، ولكنه لم يجد بُدًّا من المحافظة على رضاه لكي يستطيع أن يعيش في بيته. وظلَّت مطرونة مُلازِمةً ليوليان تُخفِّف عنه حزنه بقصصها المُسلِّية.

الأسقف القديس سلوانس:

سمع يوليان عن أسقف المسيحيين في مدينة حمص، واسمه سلوانس، وسأل عنه مطرونة، فروت له قصته، وكيف أنَّ شعب حمص رأى فيه الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف بإخلاصه لهم. وكان حبُّه ومعونته للجميع بلا تفرقةٍ بين مسيحي ووثني **سببًا في اكتساب محبة واحترام غير المسيحيين** وعطفهم على المسيحيين في أوقات الاضطهادات. وظلَّ في خدمة هذه المدينة نحو ربع قرن لم يجد فيها عدوًّا سوى بعض المُتعصِّبين للرومانيين.

اِشتاق يوليان إلى رؤية هذا الأسقف، وساعده القس إيباتيوس على مُقابلته. وفي الطريق إليه، تعجَّب يوليان لمَّا رأى الزقاق الضيِّق والمنزل الذي يسكنه زعيم المسيحيين في حمص حقيرًا. فقال له الأب إيباتيوس: "لا تتعجَّب، فإنَّ أصحاب هذه الرُّتب لا يعبأون بزخارف الدُّنيا وبهرجتها، لأنهم ينتظرون المجد الخالد في العالم الآخر". **(يتبع)**

من
قصص الشهداء

فاروس الجندي وسبعة نُسَّاك آخرون[1] (٣٠٧م)

❖✝❖

كان الاضطهاد يتصاعد يومًا بعد يوم، لأن الوالي كولشيان لم يكن ليرضى أن تظلَّ قاعة المُحاكمة خاويةً، وكان يهدف بالحري إلى التغلُّب على ثبات المسيحيين واستدراجهم إلى الجحود بدلًا من إعطائهم فرصة التهليل بالاستشهاد.

ولهذا الهدف كان يعرض عليهم كلَّ ما يمكنه من الإغراءات الجذَّابة، ومتى فشلت لجأ إلى التهديدات الفتَّاكة. وكان ينذهل من اندفاع المسيحيين إلى الاستشهاد كأنهم ذاهبون إلى عُرسٍ، وأنهم لكذلك لو تفطَّن كولشيان!

ولقد تبارت كلُّ الطبقات الاجتماعية المصرية في إرسال النُّخبة من أولادها وبناتها نوَّابًا عنها إلى الفردوس!

مكانة الضابط فاروس:

وكان الضابط فاروس Varus ذا مكانةٍ عالية وسط الجنود لِمَا كان يمتاز به من بسالة نادرة بغير زهوٍ ولا غرور، وزادت بسالته رونقًا ما تحلَّى به من تقوى ومحبة. فكان يقضي ساعات فراغه في زيارة المسجونين والمُقيَّدين، فيُمرر أصابعه في رقَّةٍ وحنان على جراحهم الدامية ليُضمِّدها، ثم يدهن عينيه وصدره بما لصق بها من الدماء.

وبهذا العمل كان يُعرِّض نفسه لخطرٍ داهم، إذ إنَّ الموت كان مُتربِّصًا بكلِّ مَنْ يجرؤ على مجرَّد الاعتراف بالربِّ يسوع.

---

(١) - المطران ميشيل عسَّاف: سنكسار الروم الكاثوليك، (١٩ تشرين الأول)،
- إيريس حبيب المصري: السنكسار الجديد، جزء ١، ص ٢٠٧ – ٢١١، (١٤ هاتور)،
- القمص تادرس يعقوب ملطي: آباء الكنيسة وقدِّيسوها.
- Buttler's, Lives of the Saints, Oct. 19. 4/49.
- Cheneau: op. cit., tome 2, pp. 426-437, Oct. 19.

النُّسَّاك المتوحِّدون:

وعادت حاشية الوالي، التي كان قد أرسلها إلى طيبة ذات يوم، تسوق أمامها عددًا من النُّسَّاك المتوحِّدين، وفرح كولشيان للغاية، وأَمَر بإلقاء هؤلاء الرجال الوقورين في السجن، وتعذيبهم تمهيدًا لمُحاكمتهم. ولمَّا سمع فاروس بهذا الخبر، ذهب تحت ستار الظلام وقدَّم مبلغًا من المال للحُرَّاس ودخل لزيارة القدِّيسين، فقبلوا منه ما دفعه لأنه كان مرتديًا الزِّي العسكري. وما إن دخل عند النُّسَّاك حتى فكَّ قيودهم وقدَّم لهم الطعام والماء. وكان الجُند قد تركوهم بغير أَكْلٍ ولا شُربٍ مدَّة ثمانية أيام.

وحالما انتهوا من الأَكل والشُّرب، خرَّ فاروس على ركبتيه وقال: "أيها الخُدَّام المُكرَّمون للملك المسيح، سيسوقكم غدًا رجالٌ بلا رحمة إلى الاستشهاد، فاطلبوا إلى الربِّ أن يجعلني شريكًا في بسالتكم. إنني ضابطٌ، وقد بلغتُ رُتبة تضعني أمام الأضواء، وأنا مسيحي، ولكني ما زلتُ أرتعدُ من الاعتراف بمُخلِّصي جهارًا خشية التعذيب الذي شاهدتُ وحشيته مرارًا. صلُّوا لكي ينتهي الاضطهاد، فنستطيع أن نعترف بإيماننا بلا خوف، ونُعلِن ولاءنا للملك المسيح في رائعة النهار". أجابه القدِّيسون: "إنَّ مَنْ أراد أن يحصد في الموسم الحلو، عليه أن يكون قد بَذَر البذار وقت الشتاء وأثناء العواصف، وإكليل الشهادة لا يمكن أن يكون وشاح الجبان. ألم يُعلِن لنا المسيح بأنَّ مَنْ لا يعترف به قدَّام الناس لا يعترف هو – له المجد – به في السموات؟ فتشجَّع، إذن، وكُن رفيقنا في الرحلة إلى الأبديَّة".

اكتشاف الضابط فاروس مع النُّسَّاك:

وبينما هم لا يزالون يتحدَّثون، اقتحم الجُند الحبسَ الداخلي ليسوقوا المُصارعين مع الله أمام القاضي، ولاحظ جنديٌّ منهم أنَّ فاروس يُقبِّل أقدامهم. فسأله: "أيها الضابط الكبير، أَلَا تخشى أن يُبلِّغ أحدٌ أمرَكَ إلى الوالي؟ فإن عرفوا أنك مسيحيٌّ ستفقد مكانتك، بل وستفقد حياتك أيضًا". أجابه: "فليسمح الله ويشاء أن يعتبرني مسيحيًّا ولا يفصلوني عن هؤلاء الأبطال. ولكن مَنْ سيُبلِّغ عني وأنتم جميعًا أصدقائي؟".

وقيَّد الجنود النُّسَّاك بسلاسل ثقيلة، وكان عددهم ستة، وساقوهم إلى القضاء. وكانوا في حياتهم الصحراوية سبعةً عاشوا معًا ثلاثين سنة في عِشرة حلوة مع الله، ولكن واحدًا منهم كان قد انتقل إلى الفردوس قبل القبض عليهم بأسبوعٍ واحد.

محاكمة النُّسَّاك:

وسار فاروس خلفهم، وكان كولشيان قد اتَّخذ من الميدان العام ساحة لقضائه. وكان كُرسي ولايته مُحاطًا بالجنود وبجموعٍ كثيرة من الشعب. فأخذ يُلقي أسئلته على رجال الله لعلَّه يوقِع بواحدٍ منهم. ولكنهم أكَّدوا له أنَّ الوطن الحقيقي للمسيحي هو السماء. فهم لا يخشون تهديده، ولا يخدعهم وعيده. فبعد أن أَمَر الجُند بضربهم بالعِصِي، سألهم: "على فكرة أين سابعكم؟ فقد بحثتُ عنه طويلًا دون أن أتمكَّن من العثور عليه". وما إن انتهى من كلماته، وقبل أن يُجيب أحدهم، اندفع فاروس إلى الأمام وهو يشقُّ طريقه بين المُتجمهرين. ووقف أمام كولشيان مباشرةً، وقال: "إنَّ مَنْ تطلبهُ قد مات. وقد أقمتُ نفسي وريثًا لأتعابه. فإن كان عليه دينٌ لك أدفعه أنا عِوَضًا عنه، لأن الوارث عليه أن يدفع ديون أبيه".

الوالي يكتشف أنَّ فاروس مسيحيٌّ:

وتفرَّسَ فيه الوالي مذهولًا وسأل: "مَنْ أنتَ"؟ أجابه سكرتيره: "إنه ضابطٌ من المرموقين في الجيش". فالتفت كولشيان إليه بأكثر دقة ولاحظ من زِيِّهِ أنه فعلًا من المُتقدِّمين في القيادة العسكرية، فازداد ذهولًا وسأل: "كيف تركتَ نفسك لتأثير هؤلاء الدَّجَّالين إلى حدِّ تعريض مكانتك العليا للخطر؟ إنك لا تتعرَّض لضياع مركزك فقط، بل لقطع رأسك أيضًا؟!". أجابه: "لا تُحدِّثني عن مركزي. فلقد وجدتُ ما هو أسمى وأعلى ...".

ولم يَدَعهُ الوالي أن يُكمِّل، بل وجَّه حديثه إلى النُّسَّاك قائلًا: "ليس من شكٍّ في أنكم أنتم الذين أوصلتم هذا الضابط الكبير إلى هذه الهلوسة، وبذلك أضعتم على الإمبراطورية شخصية كبرى". وأصغى فاروس إلى الحديث الذي تبادله الوالي مع النُّسَّاك فرأى أن يتدخَّل، وقال: "لماذا الاستطالة في الكلام؟ إنهم واقفون عند قدميك، فافعل بهم ما تشاء". أجابه الوالي: "إنَّ واجبي هو القضاء على كلِّ مَنْ لا يُبخِّر لآلهة الإمبراطورية بالتعذيب أولًا، ففكِّر فيما تنتويه". قال فاروس في تأكيدٍ: "لقد فكَّرتُ وانتهيتُ، وأنا خادمٌ للرب يسوع". حينئذ أَمَر الوالي بتعذيبه، فمزَّق جسده بالمجالد، وقَطَعَ لحمه بأمشاطٍ حديدية.

أمَّا هو فكان صابرًا، يُصلِّي ويتضرَّع إلى الله لكي يُثبِّته في عزمه، وتضرَّع إلى رفاقه الشهداء الستة الواقفين أن يطلبوا له العون الإلهي. فسمعه الحاكم واستهزأ به، وقال: "أين قدرة مسيحك يا فاروس؟ أَلَا يأتي لنجدتك حتى تستنجد بهؤلاء التُّعساء؟". فقال الشهيد: "إنني لا

أطلب المعونة من الله ليُنقذني من هذا العذاب، بل أبتهل إلى الربِّ لكي يُنجِّيني من نار جهنم".

تعذيب واستشهاد الضابط فاروس:

فغضب الوالي وأَمَر الجلَّادين بأن يُشدِّدوا في تعذيبه. فعذَّبه الجلَّادون وتركوه مطروحًا على الأرض يتألَّم ساعاتٍ طوالًا حتى أسلم الروح، فطارت نفسه الطاهرة إلى المملكة العلوية، حيث رب الجنود جالسٌ يُكافئ مُختاريه بالنَّعيم الذي لا يزول ولا يَفْنَى أبدًا.

استشهاد النُّسَّاك:

وفي اليوم التالي، استحضر كولشيان النُّسَّاك الستة وأَخَذ يتهدَّدهم ويتوعَّدهم، إلَّا أنهم ظلُّوا راسخين على إيمانهم القويم. فجازوا في سلسلةٍ من العذابات. وأخيرًا، قُطِعَت رؤوسهم ونالوا أكاليل المجد غير المُضمحل.

وبعد أن أكمل القدِّيس فاروس جهاده، أخذت جسده امرأة مسيحية تُدعى كليوباترا. وذهبت بجسده إلى فلسطين إلى قرية بجوار بحيرة طبرية، وكان المؤمنون يأتون ويتباركون من جسده. ولمَّا كبر ابنها يوحنا وأصبح متأهِّلًا للجُندية، قررت أن تبني كنيسة للقدِّيس. فلمَّا أكملتها، وضعت رفات القدِّيس تحت المذبح. وحدث بعد ذلك أن مات ابنها، فوضعت المرأة ابنها أمام الهيكل مُتضرِّعة إلى الله من أجل ابنها.

فنامت من كثرة الحزن، وظهر لها الشهيد في رؤيا، وخاطبها قائلًا: "هل نسيتُ محبتكِ التي أظهرتيها من نحوي؟ هل لم أُصلِّ إلى الله ليُعطي الصحة والعافية لابنكِ؟! أمَّا الآن فإنَّ الصلاة قد استُجيبت، فلقد أعطاه الله الصحة إلى الأبد، وهو الآن يتبع الحَمَل الإلهي إلى الأبد". فقالت له: "إنني أريد أن أكون معكما". فقال لها: "اتركيني أنا وابنكِ وانتظري حتى يأتي الوقت الذي فيه تكونين معنا".

فلمَّا استيقظت، عَلِمَت أنها إرادة الله، فدفنت ابنها بجوار الشهيد. وقضت باقي حياتها في توبةٍ دائمة وصومٍ وصلاةٍ مُستمرَّيْن. وبعد سبع سنوات، أتمَّت جهادها ولحقت بابنها في السماء.

ولربنا المجد دائمًا أبديًّا، آمين.

الجهاد القانوني ومقاومة الشر

❁✝❁

+ «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ» (عب ١٢: ٤).

تمهيد:

يُنبِّهنا الروح القدس على فم بولس الرسول، إلى أهمية وضرورة الجهاد القانوني في الحياة الروحية؛ حيث يكتب الرسول مُخاطبًا تلميذه تيموثاوس بالقول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ، لَا يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا» (٢تي ٢: ٥). وغنيٌّ عن البيان أن نذكر أنَّ معنى "الجهاد القانوني" ينصرف إلى كونه جهادًا بحسب الأصول القانونية والروحية الإلهيَّة المُتعارف عليها[١]. ثم يستطرد الرسول – في أكثر من مرَّةٍ في رسائله – مُشيرًا وشارحًا نمط هذا الجهاد القانوني في سلوكه ومُمارساته في حياته؛ فيُسجِّل لنا بالروح قوله: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ ...» (٢تي ٤: ٧)، ثم يشرح لنا صورة هذا السلوك الروحي بقوله لتلميذه تيموثاوس: «كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ ... لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ...» (١تي ٤: ١٢، ١٦). ثم أخيرًا، يستحثُّنا الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين على النهوض للجهاد كجنودٍ صالحين للربِّ يسوع بقوله: «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ» (عب ١٢: ٤).

لكننا من جهةٍ أخرى، نتقابل في الكتاب المقدَّس مع آياتٍ ووصايا وتعاليم أخري تدعونا وتحُضُّنا على السلوك بوداعةٍ ولطف، وتُحذِّرنا من مقابلة الشرِّ بالشرِّ أو بالعنف؛ بل بالخير والاحتمال والشكر! وهناك الكثير من الوصايا التي توصي بالاحتمال والصبر، ووجوب إعطاء الحُكْم للحاكم العادل، وعدم مكافأة الظالمين عن ظلمهم. ومن أمثلة هذه

---

(١) انظر: "الجهاد القانوني": مقال للمُتنيِّح نيافة أنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير القدِّيس أنبا مقار؛ كتاب: "أنبا إبيفانيوس وجه تجلَّى فيه الحب"، ص ٣٢٩.

الوصايا: «لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا» (مت ٥: ٣٩)، «لَا تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ ...» (رو ١٢: ١٧)، وأيضًا قول الرسول بطرس عن الرب يسوع: «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ ...» (١بط ٢: ٢٣). فنُرى هل هناك تعارضٌ بين وصايا الجهاد الروحي والقانوني وضرورة مقاومة الشر، مع الوصايا التي تدعونا للوداعة والغفران والصبر والتسامُح التي يوصِينا بها الرب يسوع في الإنجيل؟ هذا هو موضوع حديثنا.

مفهوم الجهاد الروحي للإنسان المسيحي:

يُمثِّل الجهاد الروحي في الحياة المسيحية، أحد جناحَي النصرة والخلاص ونَيْل إكليل الحياة؛ فهو التعبير العملي عن الوجه الإنساني المطلوب في معادلة الخلاص. حيث تُعدُّ الإرادة الإنسانية والجهد البشري الصادق والأمين في السعي نحو تحقيق غاية الخلاص – بالجهاد حتى الدم من أجل نَيْل إكليل الحياة – هو الجناح الأول لمُعادلة الخلاص. بينما تُمثِّل النعمة المؤازرة لجهاد الإنسان، الجناح الثاني والفاعل الرئيسي لإتمام هذا الخلاص المنشود، والتي بها يتمُّ تفعيل هذا الجهاد، حيث نعمة الله المُخلِّصة هي التي تُكمِّل وتختم بالنصرة على جهاد الإنسان؛ كما سمع بولس الرسول من الربِّ هذا القول: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو ١٢: ٩). وفي هذا المعنى يقول القديس مقاريوس الكبير: [فمن الضروري بمكان، أن يُفلِّح الإنسان – باختياره – أرض قلبه ويُكابد الأتعاب، لأن الله يطلب تعب الإنسان وكدَّه وعمله؛ إلَّا أنه ما لم تلُح من فوق سحابة سماويَّة وغيوث النعمة، فهيهات أن ينتفع الفلاح المكدود شيئًا][٢].

وبكلماتٍ بسيطة وعميقة يختصر لنا القديس بولس الرسول بالروح، معنى الجهاد الروحي المسيحي في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، حيث يقول: «كُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١كو ٩: ٢٥). وهذه الكلمات تحمل في مضمونها إشارة واضحة لمعنى **التغصُّب والجهاد** (الداخلي والخارجي للنفس البشرية)، وذلك خلال سعيها لإكمال خلاصها؛ حسب قول الكتاب المقدس: «تَمِّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ» (في ٢: ٢)، حيث يُعدُّ التغصُّب هو أول وأهم – وربما أصعب – درجات الجهاد الروحي والقانوني للإنسان المسيحي.

---

(٢) العظات الخمسون – الأعمال الكاملة للقديس أنبا مقار، عظة ٢٦ (١٠)، ص ٤٠٩، ترجمة الراهب يونان المقاري.

ويمكننا إيجاز أهم سِمَات الجهاد الروحي المسيحي في النقاط التالية:

١- جهاد قانوني: «وَلكِنْ نَحْنُ لَا نَفْتَخِرُ إِلَى مَا لَا يُقَاسُ بَلْ حَسَبَ قِيَاسِ الْقَانُونِ الَّذِي قَسَمَهُ لَنَا اللهُ» (٢كو ١٠: ١٣):

الجهاد القانوني المسيحي، هو ذاك الجهاد المبني على **قواعد الإيمان** الصحيح بالربِّ يسوع، صخرة إيماننا ومُكمِّله: «فَقَاوِمُوهُ (أي إبليس) رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ» (١بط ٥: ٩)، وهو الجهاد الذي يستند على **وصايا الرب** وشريعته الإلهيَّة، والمُقدَّم بكلِّ اجتهادٍ وعطاءٍ بلا حدود؛ حتى إلى **درجة سَفْك الدم**، وتقديم الحياة ذاتها من أجل الشهادة لاسم إلهنا، واعترافًا برحمته علينا: «لأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ» (مز ٤٤: ٢٢)، ونائلون به غايتنا **بخلاص النفوس ونَيْل إكليل الحياة** الأبديَّة الموضوع للغالبين.

كذلك فإنَّ هذا الجهاد القانوني حتى الدم، يُعدُّ **شهادة حبٍّ كاملة** لذاك الذي فدانا بدمه؛ ومن قِبَل تمسُّكنا به، نَحسِب أنفسنا كجنودٍ صالحين مؤهَّلين للحرب الروحية ومقاومة إبليس: "فاشترك في احتمال المشقَّات كجندي صالح ليسوع المسيح" (٢تي ١: ٨)، «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ» (يع ٤: ٧). ونحن مُتمنطِّقون بكلِّ أسلحة الروح، باذلون كل طاقتنا – بالنفس والجسد والروح – سعيًا للوصول إلى الغاية التي من أجلها أدركنا المسيح، وكذلك ونحن مستأسرون كل فكر لطاعة المسيح، لكي ننال بنصرتنا به خلاصًا وأكاليل أبديَّة.

٢- جهاد غير منظور (داخلي – باطني**):** «فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا...» (كو ٣: ٥):

وهذا يعني أنَّ هذا الجهاد، هو جهاد روحي في المقام الأول؛ إذ هو مقابل أجناد الشرِّ الروحية، حسب قول الرسول بولس: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٦: ١٢). فنحن نحارب إبليس وجنوده، والخطية والعالم وكل سلطانه. لهذا يدعونا بولس الرسول إلى اليقظة، وعدم التراخي أو الكسل، والاستعداد الدائم بالاعتراف والتوبة، وحفظ أنفسنا بلا دنسٍ من العالم؛ وذلك في جهادٍ يومي ومستمر حتى الموت. ولعلَّ من أقوى الأمور المُعضِّدة لهذا النوع من الجهاد، هو الانسكاب باتضاعٍ ومسكنة روحية دائمة أمام الله، لطلب معونته ومؤازرته لنا بالنعمة، حتى نستطيع أن نغلب

في حربنا؛ وذلك مثلما نُصلّي في طلبات الساعة التاسعة من النهار مُتَرَجِّين معونة الله بإماتة حواسنا الجسمانية، إذ نقول: "أَمِتْ حواسَنا الجسمانية، أيها المسيح إلهنا، ونجِّنا".

وبخصوص هذا النوع من الجهاد أيضًا، ينصح بولس الرسول تلميذه تيموثاوس **بالهروب من الشرّ**، ومن الشهوات الشبابية، ومن كلّ العثرات، فيقول بالروح له: «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا ...» (٢تي ٢: ٢٢)، وأيضًا: «أَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللهِ فَاهْرُبْ مِنْ هذَا ...» (١تي ٦: ١١). كذلك يُشجِّعنا بطرس الرسول على **الهرب من الشرّ** والفساد بقوله: «**هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ** الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ» (٢بط ١: ٤). وجميع هذه الوصايا، وإن بَدَت لنا سلبية أو أنها نوعٌ باطني وغير منظور للجهاد؛ إلَّا أنها تُمثِّل أسلحة قويَّة وفاعلة في حربنا الروحية، وذلك بما تحمله في طيَّاتها من تغصُّبٍ وجهادٍ مع النفس، وصمودٍ وقوة إيمان في مواجهة الخطية وأفكار الشر، حتى تتحقَّق لنا النُّصرة ولو **بالهروب!** ذلك لأن الحكمة تتطلَّب مِنَّا البحث عن وسائل نجاتنا من المخاطر، إتمامًا لكلمة الوحي : «**اهْرُبْ** لِحَيَاتِكَ» (تك ١٩: ١٧)، ونداء عروس النشيد: «**اُهْرُبْ يَا حَبِيبِي،** وَكُنْ كَالظَّبْيِ أَوْ كَغُفْرِ الأَيَائِلِ عَلَى جِبَالِ الأَطْيَابِ» (نش ٨: ١٤).

٣- جهاد منظور (سلوكي – ظاهر): «... أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ» (رو ١٢:١):

يدعونا الرب يسوع إلى هذا النوع من الجهاد، من أجل مكافأة إكليل الحياة، إذ يقول لنا: «اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ... مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!» (مت ٧: ٤٠، ٤١)، ويقول الرب أيضًا: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا...» (مت ١٦: ٢٦). ثم يأتي القديس بولس الرسول ليؤكِّد لنا هذه الوصية بقوله: «بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لَا أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا» (اكو ٩: ٢٧). وقد وضع لنا الرب منهجًا كاملًا لنموذج هذا الجهاد بمثال سلوكه وحياته على الأرض، وكثيرًا ما أوصى وألحَّ في ذلك مرارًا، لكي نتمسك نحن بمثال سلوكه، فقد أوصانا بالصلاة والصوم، وقد مارسهما أمام تلاميذه مرَّاتٍ متعددة، حيث يذكر الكتاب المقدَّس عن الرب يسوع ما يلي: «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا» (مت ٤: ٢)، وقوله أيضًا: «هذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مر ٩: ٢٩). ويكتب القديس

لوقا عنه: «وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ ... قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (لو ٢٢: ٤٤ – ٤٦). ثم يوصي الرب يسوع تلاميذه – ونحن – بالسهر والصلاة، حيث يقول لهم: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (مت ٢٦: ٤٠، ٤١)، ويؤكِّد القديس بولس على أهمية السهر فيقول: «اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالًا. تَقَوَّوْا. لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ» (١كو ١٦: ١٣).

ثم يأتي دور كلمة الله، التي هي حصن وسلاح بتَّار لكلِّ مَن يستعين به ويلهج ويحيا به في جهاده ضد إبليس ومحارباته؛ مثلما يقول لنا الروح: «خَبَّأْتُ كَلَامَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلَا أُخْطِئَ إِلَيْكَ» (مز ١١٩: ١١). كذلك يظهر لنا مدي أهمية كلمة الله في جهادنا عندما ننظر إلى مثال ما صنع الرب يسوع نفسه، حينما قام إبليس ليُجرِّبه؛ فقد أفحمه السيِّد في كلِّ مرة بردِّه المُنير والمُفحِم لمكائده، بقوله **"مكتوبٌ"** (مت ٤: ١-١٠). فكلمة الله نورٌ ودرعٌ مُنجِّي من سهام العدو المُلتهبة نارًا.

كذلك يتَّسم جهادنا ومصارعتنا الروحية الإيجابية والظاهرة، بسِمَات الصبر والمُثابرة والثبات، وذلك كما يقول المُرنِّم: «انتظر الربَّ. ليتشدَّد وليتشجَّع قلبُك، وانتظر الربَّ» (مز ٢٧: ١٤)، وأيضًا، بحسب وصية السيِّد نفسه: «بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ» (لو ٢١: ١٩)، وكذلك وفق ما يوصينا به الرسول بولس بقوله: «وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عب ١٢: ١). كل ذلك، لأن الله ينظر إلى صبر الإنسان وتعبه، إذ يُطمئِنه بقوله بالروح، على لسان يوحنا الرائي: «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ...» (رؤ ٢: ٢)، ويَدعَم الربُّ وعوده للصابرين بكلماته المُفرحة: «وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ» (مت ١٠: ٢٢). ومن أجل كل هذا، يُشجِّعنا بطرس الرسول على بذل أقصى جهدنا بالتمسُّك بالصبر والثبات اللذين لهما ثمرة عظيمة لمَن يتمسَّك بهما، حيث يقول: «وَلِهذَا عَيْنِهِ – وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ – قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً ... لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لَا مُتَكَاسِلِينَ وَلَا غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢بط ١: ٥-٨).

٤- جهاد تؤازره نعمة الله: «فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (٢تي ٢: ١):

يُعلن الربُّ يسوع صراحةً، أننا بدونه لن نقدر أن نفعل شيئًا؛ إذ يقول لتلاميذه:

«بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يو ١٥: ٥). وبولس الرسول يقول عن النعمة المُعضِّدة لجهادنا: «فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ» (عب ٤: ١٦). لذلك يلزم أنْ نُدرك أنَّ جهادنا الروحي والقانوني، إن لم يستند على نعمة الله ومعونته، فباطلًا نتعب ونسعى! وهذه النعمة والمعونة الإلهيَّة، هي التي تختم على جهادنا بختم القانونية والقبول والغَلَبة أمام الله والناس. وهذه لا يُمكن اقتناؤها إلَّا بالاتضاع والمسكنة والصلاة والانسحاق أمام الله كل حين، لأنه يُعطي نعمةً للمُتضعين المترَجِّين رحمته ومعونته؛ حيث يقول لنا بطرس الرسول بالروح: «لأَنَّ: "اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً"» (١بط ٥: ٥).

ولعل من أعظم الوسائط الروحية التي نثبت بها في النعمة، هو باتِّحادنا بالربِّ وتناولنا من الأسرار المقدَّسة، والتقدُّم لها على الدوام بتوبة واتضاع حقيقيَّيْن، وفي هذا يقول القديس مقاريوس الكبير: "فبهذا السرِّ تُحفَظون من الأعداء"[٣] . كذلك فنحن نقدر أن ننال هذه النعمة الداعمة لجهادنا الروحي بواسطة صلواتنا وتضرُّعاتنا وانسكابنا الدائم لطلبها؛ كما فعل التلاميذ في علِّية صهيون حتى نالوا الروح القدس يوم الخمسين.

معنى عدم مقاومة الشرِّ، والوداعة المطلوبة مِنَّا في جهادنا الروحي:

حينما انبرى بطرس الرسول ليُدافع عن سيِّده أمام الجُند وخُدَّام رؤساء الكهنة، استلَّ سيفه وضرب أُذُن عبد رئيس الكهنة فقطعها؛ وفي الحال نهاه الرب يسوع عن فعله هو وبقية التلاميذ، المُتحفِّزين لاستخدام أسلحتهم الأرضية في الدفاع عن سيِّدهم. فقام الربُّ أولًا بشفاء أُذُن عبد رئيس الكهنة، ثم قال لبطرس: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. **لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!**» (مت ٢٦: ٥٢).

فالرب يسوع بعمله هذا، يفتح أعيننا على فهم معنى الجهاد ضد الشر، وأن ذلك لا يتمُّ بأسلحة هذا الدهر وأدواته، وهذا ما يؤكِّده بولس الرسول حين يقول: «إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً» (٢كو ١٠: ٤)؛ ذلك لأن حربنا هي مع إبليس نفسه، عدوِّنا الحقيقي، وعلينا أن نواجهه بأسلحةٍ أخرى تُناسب حربنا معه، كما يقول الرسول بولس

(٣) انظر: "بستان الرهبان" – إعداد: الراهب إبيفانيوس المقاري (أنبا إبيفانيوس) – خطاب أنبا مقار الأخير، ص ٥٠، فقرة (٥٤) (س٢٩:٥ج).

أيضًا: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ ... مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٦: ١٢). لذلك حينما يقول الكتاب المقدس لنا: «لَا تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ»، وأيضًا: «لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ **بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ**» (رو ١٢: ٢١)؛ فهو يُرشدنا ويُقدِّم لنا السلاح الروحي المُناسب لغلبة الشر . فيوصينا بالبركة مقابل الشتيمة، والصلاة مقابل الإيذاء، والمحبة مقابل الكراهية والبُغضة، وجميعها جهاد مسيحي حقيقي، وسلاح فعَّال ضد قوى الشر. وإن كانت تختلف تمامًا عن منهج العالم وسلوكياته وأسلحته في ردِّ الإساءة والحرب، بل وقد تقتضي الحكمة أحيانًا أن نهرب أو نتجنَّب أماكن التجربة أو المُصادمة أو الخطية من أجل أن ننجو بحياتنا. وقد قيل عن الربِّ يسوع إنه لمَّا شُتِمَ لم يكن يَشتِم عِوضًا، بل أعطى الحُكْم للحاكم العادل (انظر: ١بط ٢: ٣٢).

وحتى حينما يستلزم الأمر أو المسؤولية أن نقاوم الشر أو نراجع الخطأ ونُصَحِّحه، فلا بد أن يكون ذلك بروح الوداعة والمحبة والاتضاع، وليس بروح الانتقام والعنف؛ وذلك كما يذكر بولس الرسول لأهل تسالونيكي: «وَلكِنْ لَا تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ» (٢تس ٣: ١٥)، وكذلك نصيحة الرسول أيضًا لتيموثاوس: «لَا تَزْجُرْ شَيْخًا بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ» (١تي ٥: ١).

إذن، حتى في حال مقاومتنا للشرِّ، بصورةٍ ملموسة (سلوك خارجي)، فنحن لا ننتهج منهج العالم في الحرب والصراع، بل نُجابهه بروح الوداعة واللطف، لكي نُصلِح وننقذ من يد إبليس كلَّ مَن اقتنصهم لنفسه، عالمين أنَّ عدوَّنا الحقيقي هو "إبليس"، وليس الإنسان الضعيف الذي نواجهه. وأننا بصبرنا ووداعتنا ومعونة إلهنا ونعمته، سنقدر أن نُطفئ سهامه المُلتهبة نارًا، ونُتمِّم جهادنا حسب القانون، فننال إكليلنا.

****

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار**

من تعاليم
القديس أنبا مقار
والقديس يوحنا القصير

١٢٨ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]

(٥)

(١) تعليم آباء الكنيسة عن الله الذي لا يمكن إدراكه:

يُشبِّه القدِّيس غريغوريوس النِّيصي موضوع صعوبة وعجز معرفة الله، بتلك العروس المذكورة في سِفْر نشيد الأنشاد والتي تمدُّ يديها نحو هذا الذي لا يمكن الإمساك به؛ إنَّها تمدُّ يديها لِمَن لا يمكن الوصول إليه.

وفيما يلي قولان للقدِّيس باسيليوس الكبير وديونيسيوس الأريوباغي حول أنَّه لا سبيل لمعرفة جوهر الله:

[إذا أجبتُ أنَّني أعبد ما أَعرفه، فسيسألون على الفور: ما جوهر ذاك الذي هو موضوع العبادة؟ ثمَّ إذا اعترفتُ أنَّني أجهل الجوهر، فَهُم سينقلبون عليَّ مرَّةً أخرى ويقولون: إذن، أنتَ تعبد ما لا تعرف] (القدِّيس باسيليوس الكبير).

[مَن رَأَى الله وفَهِم ما رآه، فهو لم يَرَه] (الأب ديونيسيوس الأريوباغي).

(٢) الكنيسة ليست ضد العقل:

إنَّ عدم المعرفة المُطلقة لله لا يعني أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة مُناهضة للفكر، فالمعرفة السلبيَّة apophatic ليست غير عقلانيَّة بل فوق العقلانيَّة. الوصيَّة العُظمى تحثُّنا على محبَّة الله: "بكلِّ فكرنا". الفكر أو العقل هو أسمى صفات الإنسان المخلوق على صورة الله. يُذَكِّرنا الكتاب المقدَّس والكنيسة أنَّ هناك حدودًا للعقل لا يستطيع أنْ يتجاوزها في معرفته لله. هناك الكثير مِن المجالات في الخليقة حيث يستطيع العقل، كما يجب عليه أيضًا، أنْ يجتهد ليمدَّنا بلمحاتٍ مِن فهم الحقيقة الإلهيَّة. لهذا كَتَب القدِّيس أفرام السّرياني St Ephrem في إحدى ترانيمه:

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. *Coniaris, Knowing God Life's Highest Purpose & Joy.*

[هناك استقصاء فكرى في الكنيسة بالفحص في ما أُعلِن، (لكن) لم يكن العقل مقصودًا به أنْ يتطفَّل في الأشياء الخفيَّة].

حقائق مثل الثالوث القدُّوس، الميلاد البتولي، والتجسُّد، على سبيل المثال؛ تتجاوز التَّفكير والعقل البَشَريَّيْن، ولا يمكن أنْ توضَع تحت فحص عقل الإنسان المحدود.

يتحدَّث الأب يوحنا خريسافجس Fr.John Chryssavgis فيقول:

[الحقيقة هي واقعٌ وليست بالفعل ما توصف به. اللاهوت والحياة الروحيَّة يحاولان ببساطة أنْ يُعبِّرا – أو على الأقل – أنْ يقترحا أو يفترضا ما لا يُنطَق به وما لا يوصف وما لا يُعَبَّر عنه. إنَّها لغة الصَّمت تُتَرجَم كقصيدة شعريَّة، كليتورجيًّا، وكتمجيد، وكحياة. هذا بالضَّبط ما جعل الطَّريقة الأبوفاتيَّة (السلبيَّة) ضروريَّة في اللاهوت والروحانيَّة الأرثوذكسيَّة. التَّقنية الفلسفيَّة السَّلبيَّة والمعروفة باللاهوت السَّلبي "أبوفاتيسيزم apophaticism"، ليست تعبيرًا عقليًّا صافيًا، ولكن بالضَّرورة طريقة للعبادة أمام الله الحيِّ الشَّخصاني، الذي هو – جوهريًّا ومِن الأساس – مقبولٌ ولا اعتراض عليه وغير مُدْرَك ولا مفهوم، كشخصٍ واهب الحياة بالتَّأكيد(٢)].

قال أحد المدرسيِّين ذات مرَّة، إنَّه بينما كانت المسيحيَّة الغربيَّة تحاول بالعقل أنْ تُحَلِّل وتُشَرِّح وتفهم الله، كانت المسيحيَّة الشَّرقيَّة تبحث في أنْ تُمَجِّد وتشكر وتُسَبِّح سرَّ الله المهوب. إنَّها لا تحاول أنْ تُشَرِّح سرَّ الله الذي لا يُسبَر غوره، ولكن أنْ تنحني ساجدة أمامه.

أَلَم يكتب القدِّيس بولس الرَّسول ويقول: «الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» (١كو ١٣: ١٢). المسيح فقط والرُّوح القدس هما اللذان يعرفان جوهر الله الآب: «... أُمُورُ اللهِ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلَّا رُوحُ اللهِ» (١كو ٢: ١١).

يكتب القدِّيس باسيليوس الكبير عن معرفة الله، فيقول:

[الوظيفة الأساسيَّة لعقلنا هو أنْ نعرف الله بقدر ما يَقْدر الصغير جدًّا أنْ

---

(2) *Light Through Darkness*: the Orthodox Tradition. John Chryssavgis. Orbis Books. Maryknoll, NY, 2004.

يعرف الكبير غير المتناهي... يقول بولس الرَّسول: إنَّنا نعرفه بعض المعرفة، وسنعرفه بصورةٍ أكثر كمالًا في الحياة الآتية فقط، لأنَّه متى يأتي ما هو كامل، يَبْطل ما هو بعض (انظر: ١كو ١٣: ١٢)].

يُرنِّم القدِّيس غريغوريوس النيزينزي St. Gregory of Nazianus عن إيمانه في الله غير المُتناهي والذي لا يُسْبَر غوره، فيقول:

[أنتَ وحدكَ الذي لا يُنطَق به،
منذ الوقت الذي فيه خَلَقتَ كلَّ الأشياء، التي يمكننا أنْ نتكلَّم عنها.
أنتَ وحدك غير المعروف،
منذ الوقت الذي خلقتَ فيه كلَّ الأشياء، والتي يمكننا أنْ نعرفها.
جميع الأشياء تصيح وتُنادي عنك، تلكَ التي تتكلَّم وتلك التي لا تقدر على الكلام.
كلُّ الأشياء تُعَظِّمك وتُكَرِّمك، تلكَ التي تستطيع أنْ تُفَكِّر والتي لا تستطيع أنْ تُفكِّر.
لأنَّه لا يوجد إلَّا اشتياقٌ واحد، وأنينٌ واحد، الذي مِن جميع الأشياء نحوك ...
جميع الأشياء تُصَلِّي إليكَ كي تفهم خططك، وتُقدِّم لك تسبحةً صامتة.
فيكَ تقوم كلُّ الأشياء وفيك تثبت، أنتَ الواحد وحده،
وكلُّ الأشياء تركض بلا نهاية وعلى الدَّوام نحوك، أنتَ الذي هو غاية الكلِّ].

مِن المعلوم جيِّدًا أنَّ القدِّيس أوغسطينوس بينما كان يسير على شاطئ البحر كان يُفكِّر في الله، فرأى ولدًا يجلس بجانب البحر وهو يجرف ماءً مِن البحر بصَدَفَةٍ بحريَّة، ويصبُّها في حفرة حفرها في الرَّمل. هذا المنظر ألهمه لِيُفَكِّر أنَّه لا يوجد أيُّ تناسُب بين عقولنا الضَّحلة وبين عظمة الله. وكما إنَّه من المستحيل لعقلنا أنْ يحوي الله في عظمته الفائقة؛ هكذا كان لا يمكن أنْ نجرف ماء البحر بصَدَفَةٍ ونضعها في حفرةٍ صغيرة.

عندما نقول إنَّ الله غير محدود، فنحن نقصد بذلك أنَّه "أبوفاتيك" (لاهوت سلبي apophatic)، يعلو بما لا يُحَدُّ عن فهمنا. لا يمكن معرفة جوهر الله، وحتى لو كنَّا نظنُّ أنَّنا نعرف كلَّ شيء عنه، فلا يزال يوجد ما لا حدود له لنعرفه. لا يمكن وضع الله في صندوق، وفي كلِّ مرَّةٍ نظنُّ أنَّنا قد فهمناه، تأتي خبراتٌ جديدة لتنزع القناع عن الوثن الذي خلقناه بأنفسنا.

دراسات
ليتورجيّة

الحياة اللِّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[١]
(٥)

القرن السابع الميلادي

مقدِّمة:

بعد دخول العرب مصر سنة ٦٤٢م، شحَّ الأدب اللِّيتورجي، واتَّجه العرب إلى تعريب البلاد، وجُعلت اللُّغة العربيَّة لُغةً رسميَّة، ذلك لعدم معرفة العرب باللُّغة القبطيَّة. فغموض اللُّغة القبطيَّة بالنسبة لهم، ومُمارسة القبط لشتَّى طقوس حياتهم اليومية بها، جعل العرب يقلقون، لذا كانوا يلجأون إلى كلِّ وسائل الترجمة المُتاحة، لنزع ستار الإبهام بينهم وبين الشعب.

ومع الوقت، زاد اهتمام الأقباط بتعلُّم اللغة العربيَّة، وخصوصًا العاملين بديوان المُحاسبة، حرصًا على وظائفهم، وكهمزة وصل بين القيادة العربيَّة وشتَّى القُرى القبطيَّة.

الفنون القبطية:

+ كان الأقباط يُزيِّنون شرقيَّة الهيكل بصور السيِّد المسيح والرُّسُل والقدِّيسين، وكان بعضها مرسومًا على خشب، يُلصق على جدران الهيكل، أو تُرسم الأيقونات على جدران الشرقيَّة. وبحسب التقليد القبطي، كان رسم أيقونات القدِّيسين هو في داخل الهيكل فقط، وليس في أيِّ مكانٍ آخر من الكنيسة.

+ ويُلاحَظ خلال القرون الأولى لدخول العرب البلاد، أنه قلَّت صُوَر الأشخاص، وشاع رسم الخطوط الهندسيَّة، وفروع أوراق وثمار بعض النباتات مثل: الرُّمَّان والكَرْمَة. ويقول المقريزي: ”إنَّ الآثار القبطيَّة الحاليَّة، لا تُمثِّل الجودة الحقيقيَّة للفن القبطي، لأن اللَّوحات الثَّمينة قد حُطِّمت في سلسلة الاضطهادات المستمرة“.

+ بداية وجود خورس مُتميِّز مُخصَّص للشمامسة، يرتفع قليلًا عن الأرض، وأحيانًا يكون له درابزين من الخشب المشغول أو المعدن، يفصله عن ساحة الكنيسة.

---

(١) نُتابع في هذا العدد تقديم موجز عن التاريخ اللِّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، وهو عن كتاب للراهب أثناسيوس المقاري، صَدَرَ بنفس الاسم، سنة ٢٠١٨م.

الحياة الليتورجيَّة:

+ انحسرت التَّوبة العلنيَّة أمام الجماعة، واتخذت طابع التقليد الرهباني، حيث صار المؤمن يُمارس اعترافه أمام الكاهن سرًّا، وبدأ السِّر الكنسي، كسِّر التوبة والاعتراف، ينحصر في مجرد الاعتراف بالخطيئة على الكاهن، وذلك على حساب التَّوبة التي كان يلزم أن يُقدِّمها التائب أولًا أمام الله.

+ في سنة ٦٣٠م، حدث استرجاع خشبة الصليب المُقدَّسة من بلاد الفُرْس إلى أورشليم على يد الإمبراطور هرقل (٦١٠- ٦٤٠م)، ورفعُه على الجُلجُثة. وعُرف هذا اليوم باسم عيد "رفع الصليب" أو "إعلاء الصليب". وكان من تداعيات هذا الحدث أن أُضيف أسبوع ثامن على الصوم الكبير، حيث عُرف الأسبوع الأول من الصوم الأربعيني بأسبوع هرقل.

+ شاع في ذلك الزمان عادة أن يأكل الشعب يوم الخميس الكبير بعض الأطعمة، ثم يحتفلون بخدمة القُدَّاس الإلهي، ويتناولون من الأسرار المُقدَّسة، اقتداءً بما فعله الرب يسوع عندما تناول أولًا العشاء حسب العادة، ثم أعطى الأسرار الإلهيَّة للتلاميذ.

+ عيد الميلاد كان يمتدُّ ليشمل ثلاثة أيام، هي ٢٨ و٢٩ و٣٠ كيهك. وله برامون، وهو صوم يوم واحد قبله للمساء.

القرن الثامن الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

في بداية هذا القرن، في عهد الوليد بن عبد الملك، وفي زمن أسامة بن يزيد، تعرَّضت الكنيسة، ومعها مصر كلها، لحملة اضطهادٍ عنيفة، أتت على الأخضر واليابس، فهُدمت كنائس، وخُرِّبت بعض التجمُّعات الرهبانية، وتعرَّضت معظم المقتنيات الكنسيَّة للسلب والنهب والحرق.

كما شهد هذا القرن زيادة عدد الأقباط الذين دخلوا الإسلام، وبالتالي قلَّ دخل البلد من الجزية، وكانت النتيجة زيادة العبء على مَن بَقِيَ على دينه. وقامت كثيرٌ من ثورات الأقباط، وإن كان يُقضَى عليها وتُخمَد سريعًا. كان عدد الإيبارشيات في مصر آنذاك ١٦٨ إيبارشيَّة، إلَّا انَّ العدد تدهور بسرعةٍ بعد هذا القرن. كانت أعداد الكنائس القبطية تُعدُّ بالآلاف، وبلغت أديرة الرهبان بالمئات، ولكنها تدهورت هي الأخرى بسرعةٍ في أواخر هذا القرن.

في التراث الأدبي والتراث الفني للكنيسة:

+ شهد هذا القرن ما عُرف باسم "حرب الأيقونات"، وهي إن كانت قد ظهرت في العالم البيزنطي؛ إلَّا أنها خلَّفت من ورائها أثرًا انتشر في سائر الكنائس القبطيَّة، وهو "حامل الأيقونات (للقدِّيسين)"، ليفصل بين الهيكل وصحن الكنيسة، مع إنه ليس طقسًا أو تقليدًا قبطيًّا.

+ تُعتَبَر الكنيسة القبطية من أقدم الكنائس في استخدام الأجراس التي تُدقُّ للدعوة للعبادة (إلَّا أنه قد صَدَر أمرٌ سنة ٨٥٠م بمنع دقِّ أجراس المنارات، بل بمنع بناء المنارات في الكنائس).

في صلوات وأسرار الكنيسة:

+ انتقل طقس التقدمة (أي طقس تقديم الحَمَل) إلى ما قبل قُدَّاس الكلمة.

+ كان يُحتَفَل بالّليتورجيًّا القبطيَّة في كلٍّ من الإسكندريَّة والوجه البحري، باللغة اليونانيَّة. أمَّا في صعيد مصر، فكان في الغالب بلهجاتٍ قبطيَّة مختلفة (البحيريَّة والصعيديَّة).

+ كانت القرابين تُحفظ بعد قُدَّاس أحد الشَّعانين للتناول منها في الثلاثة الأيام التالية، أي الاثنين والثلاثاء والأربعاء من البَصخة المقدَّسة، وهي الأيام التي لا يُقام فيها قُدَّاسات، ولا يُرفع فيها بخور.

القرن التاسع الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

+ ظلَّ الكرسي الباباوي موجودًا بالإسكندريَّة حتى زمن البابا خائيل الثاني (٨٤٩- ٨٥١م) الـ ٥٣ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة.

+ ظلَّ جسد مار مرقس مدفونًا بالإسكندريَّة، حتى سرقه بعض البحَّارة الإيطاليِّين سنة ٨٢٨م، وأخذوه إلى بلادهم. أمَّا الرأس فقد بَقِيَ محفوظًا إلى اليوم بالكنيسة المرقسيَّة بالإسكندريَّة.

+ ظهرت صناعة الكتاب لأوَّل مرَّة في العالم، في العصر القبطي. واستعمل الأقباط البردي في الكتابة حتى القرن التاسع، ثم استبدلوا البردي بالرُّقوق التي استمرَّ استعمالها حتى القرن الثاني عشر.

+ تدهورت اللغة القبطية، وانتشر العرب في الريف، واختلطوا بالمصريين، وتزوجوا

بناتهم، واشتغلوا بالزراعة والصناعة والتجارة، وغير ذلك من الأعمال التي كانوا يترفَّعون عن الاشتغال بها من قبل. وكان لهذا كله أكبر الأثر في انتشار اللغة العربية، وقضائها على اللغة القبطية. وهكذا في عهد الخليفة المأمون (٨١٣- ٨٣٣م)، أصبح الشعب المصري يدين معظم أفراده بالإسلام.

في التراث الأدبي والتراث الفني للكنيسة:

+ تُرجم العهد القديم كلُّه من السبعينية إلى العربية بواسطة حنين بن إسحق، أكبر مُترجم في عصر النهضة العباسي.

+ تمَّ اكتشاف وجود قراءات كتابية في اللّيتورجيَّة المصريَّة لكلِّ يوم صباحًا ومساءً.

+ الألحان القبطيَّة التي بَقِيَت محفوظة، أغلبها نصُّه قبطي، والقليل نصُّه يوناني، ولكن كلَّ موسيقاها قبطيَّة. ونصوص هذه الألحان روحيَّة عميقة، وتُعدُّ في أعلى مستوى للأدب اللاهوتي. ومنها ما يستغرق موسيقاها حوالي خمس عشرة دقيقة، وتُرتَّل على كلمة واحدة أو بضع كلمات.

في صلوات وأسرار الكنيسة:

+ جُمِعَ لأول مرَّة كتاب الأجبية، أي صلوات السواعي، في كتابٍ واحد.

+ كانت هناك عادة تنفرد بها الكنيسة القبطية، وهي دهن العروسين بالزيت في صلاة الإكليل. **(يتبع)**

****

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: أبناء المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس**

الترجمة السبعينية للكتاب المقدَّس

سفر إرميا، وباروخ، والمراثي، ورسالة إرميا

(يوناني – عربي)

٥٠٤ صفحة (من القَطْع الكبير – تجليد فاخر)

وأيضًا: طبعة عربي

٣٥٨ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

بحث تاريخي

أديرة وكنائس أخميم الأثرية (٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٣- دير القديس الأنبا توماس السائح شمال أخميم:

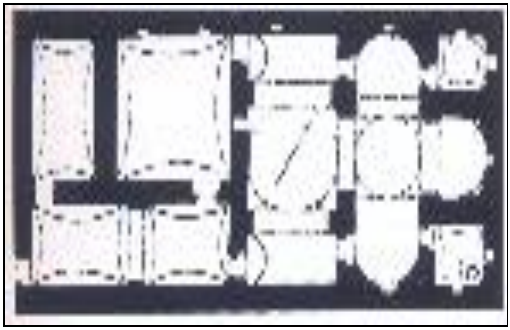

التخطيط المعماري ومباني دير القديس الأنبا توماس شمال أخميم.
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨١

تم تشييد هذا الدير بالقرب من نجع فرج على بُعْد خمسة كيلومترات شمال قرية الصوامعة وبجوار الجبل الشرقي. كما إنه يبعد عشرة كيلومترات تقريبًا شمال مدينة أخميم. ويوجد بداخل دير القديس الأنبا توماس السائح القديم كنيسة صغيرة مُلحَق بها حجرتان. وهيكل الكنيسة نصف دائري وبه حنيات وفقًا للأسلوب المعماري المتكرر فى غالبية الكنائس فى مدينة أخميم. ويتوسَّط الهيكل مذبح تعلوه قبَّة خشبية ***Ciborium*** تحملها أعمدة صغيرة. ويوجد لها أمثلة كثيرة، وبالأخص فى كنائس مصر القديمة بالقاهرة. وعادةً ما يُزخرف هذه القباب الصغيرة من الداخل شكل آدمي للسيِّد المسيح ضابط الكل ***Pantocrator*** داخل هالة المجد ***Mandorla*** بيضاوية الشكل. ويُحيط به أربعة ملائكة مُجنَّحة أو المخلوقات الأربعة. وقد تظهر فى أركان القبَّة من الخارج مناظر دينية أو أشكال آدمية لأنبياء العهد القديم. وتكتنف هذا الهيكل حجرتان جانبيتان يمينًا ويسارًا. كما ينتهي خورس الكنيسة الصغير بحنيات كبيرة. وهو يطلُّ على صحن الكنيسة من خلال ثلاث فتحات. وشُيِّدَت هذه الكنيسة فى القرن السادس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي. وهي بذلك أحدث من باقي

مباني الدير بكثير. كما أنها مُغطَّاة بقبوات وبقباب من الطوب اللّبن.

٤- دير الأنبا باخوم وضالوشام أُخته بالصوامعة شرق:

فى شمال شرق قرية الصوامعة شرق[١]، يمكن زيارة دير القدِّيس الأنبا باخوم وأُخته ضالوشام[٢]. ولم يتبقَّ من هذا الدير غير جزء من كنيسته التي تتشابه عمارتها – كما يبدو من أطلالها – مع كنيسة دير القدِّيس الأنبا شنودة فى سوهاج، كما سبقت الإشارة فى مقالتنا المنشورة فى *مجلة مرقس*، شهر نوفمبر ٢٠٢٢[٣].

٥- دير المشرقي بالصوامعة شرق بأخميم:

بُنِيَ هذا الدير شرق الصوامعة فى الاتجاه إلى الجنوب. وكنيسة الدير مثلها مثل باقي كنائس أخميم من الناحية المعمارية أي إنَّ بها ثلاثة هياكل نصف دائرية يُحيط بها ممرٌّ خلفى طويل "الضفير". ويعلو الهيكل الرئيسي قبَّة مرتفعة فى أركانها حنيات. وينخفض مستوى باقي القباب الموجودة فى الكنيسة عن هذه القبَّة.

وفى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أخذ البابا كيرلس الرابع أبو الإصلاح[٤] على عاتقه مهمة تجديد كنيسة هذا الدير الأثري، حيث إنه كان من قرية الصوامعة شرق. وما يزال منزل عائلته موجودًا حتى اليوم بهذه القرية.

كما إنه أَمَرَ بتجديد كثيرٍ من الأديرة والكنائس القبطية فى مصر، وله إنجازات كثيرة وبصمة واضحة فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وفى حياة الأقباط.

---

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨١-١٨٢.

(٢) شيرين صادق الجندي، "أديرة قبطية فى مصر باسم القديس باخوم"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٣٨)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (نوفمبر ٢٠٢٢)، ص ٣٧-٤٣.

(3) ELIZABETH S. BOLMAN, *the Red Monastery Church: Beauty and Asceticism in Upper Egypt*, New Haven & London: Yale University Press, 2016;

شيرين صادق الجندي، "أديرة سوهاج وكنائسها الأثرية: فخر العمارة المصرية"، (جـ ١) *مجلة مرقس*، العدد (٦٢١)، (فبراير ٢٠٢١)، ص ١-١٣؛ (جـ ٢) *مجلة مرقس*، العدد (٦٢٢)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (مارس ٢٠٢١)، ص ٧-١١.

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٣؛

SHERIN SADEK EL GENDI, "Six Coptic Patriarchs Named Cyril", *ACPSI*, the Fifth International Congress "Thought in Egypt through the Ages, vol.1, Cairo 29/03 – 30/03/2014, Cairo, (2014), 27-52.

التخطيط المعماري لدير المشرقي بالصوامعة شرق أخميم. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٣

٦- دير العذراء بالحواويش بأخميم:

كُرِّس هذا الدير الأثري للقدِّيسة مريم العذراء، وهو على بُعْد ما يقرب من أربعة كيلومترات شرق قرية الحواويش التي تبعد حاليًّا اثني عشر كيلومترًا عن الجنوب الشرقي لمدينة أخميم(٥). ويتميَّز هذا الدير بسوره الخارجي المربع. وكنيسة الدير هي المبنى الرئيسي به. وهي ترجع إلى القرن السادس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي تقريبًا. وتتضمَّن ثلاثة هياكل نصف دائرية ذات حنيات. وهي مُحاطة بحجرتين توصِّلان إلى ممرٍّ خلفي طويل موجود خلف الهياكل والمعروف باسم "الضفير".

وترتكز قباب صحن الكنيسة الحديثة على أربعة أعمدة مستديرة. وكل أعمدة وقباب الكنيسة مُزيَّنة بالطوب المحروق ذي اللونين الأسود والأحمر كتذكار لشهداء أخميم. أمَّا باقي مباني الدير فهي حديثة. وقد وُضِعَ بها كرسي للقدِّيس يوساب الأَبحِّ. كما إنَّ بهذا الدير الذي تمَّ تجديده، مجموعة نادرة من رفات بعض القدِّيسين الأقباط. وتجدر الإشارة كذلك إلى اعتراف المجمع المقدَّس مؤخرًا بالرهبنة في هذا الدير الذي جُدِّدت عمارة كنيسته سنة ١٩٨٠م.

وتتعدَّد الأديرة المُكرَّسة للعذراء مريم فى كثيرٍ من المدن المصرية مثل الفيوم(٦)، وأيضًا

(5) OTTO F.A. MEINARDUS, *Christian Egypt, Ancient and Modern*, Cairo, 1965, pp. 279-280 & 2nd ed., 1977, p. 388; P. GROSSMANN, *Mittelalterliche Langhauskuppelkirchen und verwandte Typen in Oberägypten*, Glückstadt, 1982, p. 196; S. TIMM, *Das christlich-koptische Ägypten in arabischer Zeit*, vol.2, Wiesbaden, 1984, pp. 636-637.

(6)N. ABBOT, *the Monasteries of the Fayyum, Studies in Ancient Oriental Civilization 16*, Chicago, 1937, p. 57, n°150.

ديرها المعروف بدير البركة بالقرب من جبل الطير فى أسيوط[٧]، وفى سمالوط[٨]، وبياض النصارى[٩]، وغيرها من الأديرة القبطية الهامة التي تُقام فيها سنويًّا الاحتفالات ابتهاجًا بأعياد السيِّدة العذراء فى مصر.

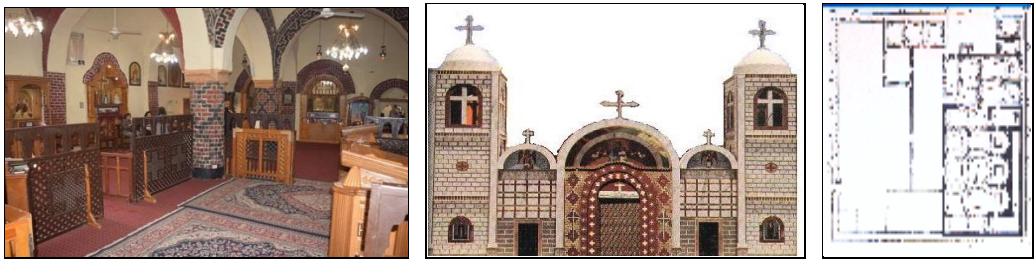

التخطيط العام والمدخل الرئيسي وصحن دير العذراء بالحواويش بأخميم. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٤-١٨٥.

٧- دير الملاك بالسلاموني بأخميم:

أشار المؤرِّخ المملوكي المقريزي إلى أنه في عصره، كان هناك راهبٌ واحد فقط فى هذا الدير الهام، وربما كان السبب فى هذا الأمر انتشار الموت الأسود أي وباء الطاعون الذي أودى بحياة الملايين من سكَّان مصر فى هذا التوقيت. ويوجد دير رئيس الملائكة ميخائيل فى قرية السلاموني. وهو يبعد كيلومترًا واحدًا عن دير الشهداء. وكنيسة الدير المؤرَّخة من القرن الخامس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي، هي من طراز الكنائس المُشار إليها سابقًا، حيث تحتوي على الثلاثة الهياكل نصف الدائرية التي تُزيِّنها الحنيات فى محيطها الدائري. كما توجد حجرتان جانبيتان على شمال وجنوب هذه الهياكل إلى جانب الممر الخلفي "الضفير".

ويعلو صحن الكنيسة الأثرية قبَّة ترتكز على أربعة أعمدة دائرية. وتعلو القبَّة الوسطى التي تُغطِّي الهيكل الرئيسي لهذه الكنيسة باقي القباب الموجودة بها. وفى الناحية الشمالية

(7) A. NOROFF, Voyage en Égypte et en Nubie en 1834 – 1835, vol.2, Petersburg, 1840, french translation by O.V. VOLKOFF, *Le Monde Copte* 11, (1985), pp. 42-44.

(8) A. BADAWY, *Les premières églises d'Égypte jusqu'au siècle de st. Cyrille*, in *Kyrilliana*, Cairo, 1947, pp. 321-380; J. DORESSE, «Monastères coptes de moyenne Égypte», *Bulletin de la Société française d'Égyptologie* 59, (1970): 7-29.

(9) S. CLARKE, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, London, 1912, p. 206, nº6.

من هذه الكنيسة، تمَّت إضافة هيكلٍ آخر، حيث يتردَّد كثيرون على هذا الدير للاحتفال بالأعياد المختلفة لبعض القدِّيسين الأقباط. ولا يوجد بئر مياه حاليًّا فى هذا الدير.

التخطيط العام وقباب دير الملاك بالسلامونى بأخميم. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٦.

٨- دير السبعة جبال شرق السلاموني:

يوجد هذا الدير القبطي المُعلَّق والمبني على بُعْد سبعة كيلومترات فى شمال شرق دير الملاك بالسلاموني فى منطقة جبلية وعرة يتعذَّر دخول السيارات إليها.

وفى هذه المنطقة التي بها مقابر مصرية قديمة، وأخرى من العصر اليوناني الروماني المتأخِّر، إضافةً إلى المعبد الذي شيَّده الملك "أي" خليفة الملك "توت عنخ آمون" فى أعلى قمة الجبل؛ تمَّ اكتشاف بقايا مباني لصهريج مياه بالإضافة إلى بقايا لبعض المباني الأخرى. وفي أعلى الجبل الشمالي، عُثِرَ على مباني من الطوب اللّبن مُتهدِّمة وبها فتحات نوافذ وأبواب[١٠].

وربما كانت هذه المباني قلَّايات وكنائس صغيرة. ويعتقد البعض أن توحُّد كل من القدِّيسَيْن إسكلابيوس وديسقوروس، كان فى هذا المكان قبل استشهادهما فى أخميم طبقًا لِمَا وَرَدَ فى سيرتهما؛ حيث أُشير إلى أنهما قد سكنا فى شقٍّ صخرة. ويُذكِّرنا هذا الدير فى صعوبة الوصول إليه بدير ريفا الأثري[١١] فى أسيوط.

(يتبع)

---

(١٠) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٧.

(١١) شيرين صادق الجندي، "كنائس دير ريفا الأثرية بأسيوط"، (جـ ١) *مجلة مرقس*، العدد (٦١١)، (فبراير ٢٠٢٠)، ص١٠-١٣؛ (جـ ٢) *مجلة مرقس*، العدد (٦١٢)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (مارس ٢٠٢٠)، ص ١٠-١٣.

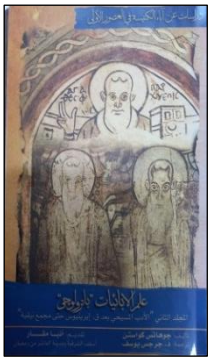

دراسات عن آباء الكنيسة في العصور الأولى

علم الآباء "باترولوجيا" [١]

المجلَّد الثاني: "الأدب المسيحي"
بعد القديس إيرينيئوس حتى مجمع نيقية

جوهانس كواستن [٢]

ترجمة وتقديم: أنبا مقار
أسقف الشرقية ومدينة العاشر من رمضان

هذا هو الكتاب الثاني من هذه الموسوعة القيِّمة عن آباء الكنيسة في عصورها الأولى. وهذا الكتاب يُقدِّم المدارس اللاهوتيَّة المختلفة التي قامت في بداية القرن الثاني للدفاع عن المسيحية ضد مُضطهديها، مستخدمين أسلحة الفكر والذهن.

في الحقيقة، كانت كلما انتشرت المسيحيَّة في العالم القديم، زاد الإحساس بالحاجة إلى شرح مُنظَّم وشامل ودقيق لعقائدها ومبادئها. وكلما كان عدد المُتحوِّلين للمسيحيَّة أكثر، كانت الضرورة مُلحَّة لإعطائهم تعليمًا يتناسب معهم. وهكذا نشأت المدارس اللاهوتيَّة المختلفة في الشرق أولًا، ومِن ثمَّ انتقلت إلى آسيا الصغرى وروما. وهذا هو موضوع كتابنا.

الفصل الأول: مدرسة الإسكندريَّة، هذه المدرسة هي أقدم مركز للعلوم الدينيَّة في تاريخ المسيحيَّة، وقد أعطتها البيئة التي نشأت فيها سِمَاتها المميَّزة، والتي تتمثَّل في سيطرة الاهتمام بالبحث الميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة)، لمحتوى الإيمان، ثم الميل للتفسير الرمزي للكتاب المقدَّس. فقد كانوا يعتقدون أنَّ التفسير الحرفي لا يليق بالله. ففي كلِّ حدثٍ وكلِّ سطرٍ من الكلمة المُوحَى بها كانوا يكتشفون فيها رموزًا للمسيح. وكانت تعتقد أنَّ سخاء الله عظيمٌ للدرجة التي يكون معها من غير اللائق أن نعتقد أنَّ هناك تعليمًا واحدًا فقط في نصٍّ مُعيَّن. وأشهر طلبة ومُعلِّمي هذه المدرسة: كليمندس وأوريجانوس وديونيسيوس وبطرس وأثناسيوس وكيرلس... إلخ. ويُعطي الكتاب موجزًا عن أهم كتاباتهم.

---

(١) الكتاب صادر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى: يناير ٢٠١٥، ويقع في ٣٥٩ صفحة.

(٢) عالِم آبائيَّات ألماني الأصل (١٩٠٠- ١٩٨٧)، وبالإضافة إلى موسوعة الباترولوجي له عِدَّة مؤلَّفات: ١- الراهب والشهيد. ٢- ضد الأكاديميين. ٣- الموسيقى والعبادة بين الشعوب الوثنية والمسيحية في العصور القديمة. ٤- رسائل القديس كليمندس أسقف رومية والقديس إغناطيوس الأنطاكي.

الفصل الثاني: مدرسة أنطاكية، وكانت تميل للمدرسة التفسيريَّة. وقد أسَّسها لوسيان الساموساطي (٢٤٠- ٣١٢م)، وكانت على النقيض تمامًا من مدرسة أوريجانوس الرمزية. وقد وجَّهت تلك المدرسة اهتمامًا دقيقًا للنصِّ، وقادت تلاميذها إلى مجال الشرح الأدبي والدراسة التاريخيَّة والنحويَّة للكتاب المقدس. فكان هدفهم هو العثور في الوصيَّة على المعنى الأكثر وضوحًا. ولكن أدَّت هذه الواقعية أن تصبح هي رَحِم الهرطقة. فقد كان لوسيان مؤسِّسها هو مُعلِّم أريوس. ومن تلامذتها غريغوريوس صانع العجائب وبولس الساموساطي ولوسيان الأنطاكي.

الفصل الثالث: بدايات الأدب المسيحي اللاتيني، حيث أصبحت اللغة اللاتينيَّة هي اللغة الرسميَّة في الكنيسة الرومانيَّة. ولم تَعُد الرسائل الباباويَّة تُكتب فقط باليونانيَّة. ويذكر بعض من هذه الرسائل الباباويَّة. وأشهر علماء هذه المدرسة هو هيبوليتوس الروماني (١٧٠- ٢٣٥م)، ويُعتَقَد أنه تلميذ إيرينيئوس الذي كان تلميذًا لبوليكاربوس. وقد تصادم هيبوليتوس مع الباباوات في عصره، فقد كان صارمًا ومُعارضًا لهم في تساهُلهم في قبول الذين جحدوا الإيمان أثناء الاضطهادات، وضد مُسامحة المُذنبين بخطايا كبيرة بعد معموديتهم. وهكذا انفصل عن كنيسة روما وانتُخب أسقفًا مُنشقًّا على روما. وله كثيرٌ من المؤلَّفات في دحض جميع الهرطقات، وتفسير بعض أسفار العهد القديم. وأهم كتاباته هو كتاب: "التقليد الرسولي"، وهو يُقدِّم لنا معلوماتٍ هامة عن السيامات والخُدَّام في الكنيسة ونظام الموعوظين والعماد والإفخارستيا. ويُعتَبَر أهم شهادة على حياة الكنيسة الأولى.

الفصل الرابع: كنيسة إفريقيا، رغم أنَّ هذه الكنيسة قد بدأت متأخرة نسبيًا، إلَّا أنَّ مساهمتها في الأدب المسيحي والفكر اللاهوتي كان أعظم بكثير من مساهمة روما.

وأشهر مُعلِّمي هذه الكنيسة هو: ١- ترتليان (١٦٠-٢٤٠م)، وكان أعظم لاهوتي فيها، وهو أول مَن كتب فيها باللغة اللاتينية، وله الكثير من الكتابات الدفاعية والجدليَّة والنُّسكيَّة. تُعدُّ كتاباته القوام الأول للأدب المسيحي اللاتيني، وصاغ اللاهوت الغربي بلغةٍ واضحة. ٢- القدِّيس كبريانوس (٢٠٠- ٢٥٩م)، انتُخب أسقفًا على قرطاجنة عام ٢٤٩. قاد الكنيسة بنجاح أثناء فترة أسقفيته في إفريقيا. وحدثت في أيامه محنة الطاعون المُخيف الذي دمَّر الإمبرطورية الرومانيَّة، وأيضًا اضطهاد داكيوس للمسيحية. وعانت الكنيسة أيامه من مشكلتين: **الأولى:** هل يتم قبول الجاحدين الذين أنكروا الإيمان وعادوا مرَّةً أخرى؟ **والثانية:** هي الجدل حول صحة المعموديَّة التي قام بها الأساقفة الهراطقة، وهل تُعاد؟ وكتب هذا القدِّيس كثيرًا من الكُتُب والرسائل، وأهم كتبه هو: "في وحدة الكنيسة الجامعة"، والذي يُعتَبَر مفتاحًا لشخصيته. وقد استُشهِدَ في عهد الإمبراطور فاليريان سنة ٢٥٩م.

ST. MARK

September 2023

Monthly Review

Icon of St. George the Martyr

14th. century, St Petersburg Russian Museum